رئاسة الجمهورية التركية
رئاسة الشؤون الدينية
رئاسة المجلس الأعلى للشؤون الدينية

استغلال الدين وحركة داعش الإرهابية

أكتوبر– 2016 / أنقرة

رئاسة الجمهورية التركية
رئاسة الشؤون الدينية
رئاسة المجلس الأعلى للشؤون الدينية

استغلال الدين وحركة داعش الإرهابية

أكتوبر– 2016 / أنقرة

رئاسة الجمهورية التركية

إعداده للطباعة

رئاسة المجلس الأعلى للشؤون الدينية

المنسق

المديرية العامة للمنشورات الدينية

تصميم

أوغور ألتون طوب

قرار المجلس الأعلى للشؤون الدينية: ٠٥. ١٠. ٢٠١٦ / ١٨

طباعة

TDV

المديرية العامة للمنشورات الدينية

رئاسة دائرة المنشورات المطبوعة

هاتف: 93 72 295 (312) 90+

فاكس: 88 72 284 (312) 90+

البريد الإلكتروني: diniyayinlar@diyanet.gov.tr

املحتويات

المدخل:

في ظل التطورات التي بلغت مستوى تهديد أمن العالم الإسلامي والتي يحتل فيها تنظيم داعش الإرهابي دور العامل الأساسي، وبدافع من المسؤوليةالملقاة على عاتقها تجاه الإنسانية والأمة الإسلامية، أصدرت رئاسة الشؤون الدينية نداء الحس السليم بتاريخ 18/ 6 / 2014. وقد لقي هذا النداء الذي ترجم إلى ثمان لغات صدىً في جهات العالم الأربع، ولقي دعماً كبيراً من العالم الإسلامي.

ثم دعت رئاسة الشؤون الدينية بناءً على مبادرات منظمات وهيئات إسلامية مختلفة؛ إلى مؤتمر حضره 150 عالماً مسلماً من مختلف أنحاء العالم الإسلامي تحت عنوان: ʻالمبادرة العالمية لعلماء المسلمين في السلام والاعتدال والحس السليمʼ في مدينة إسطنبول بتاريخ 17- 19. 7. 2014، وتناول التطورات التي تهدد السلام والتسامح في العالم الإسلامي بشكل مفصَّل. وتم في ختام الاجتماع مشاركة الرأي العام بالبيان الختامي الذي يتضمن القناعات المشتركة للعلماء الّذين يمثلون العالم الإسلامي.

في أعقاب هذه الفعاليات قامت رئاسة الشؤون الدينية بنشر بحث بعنوان ʻʻتقرير المراجع الدينية والأيديولوجيات الأساسية لداعشʼʼ (أنقرة 2015)[1] من أجل أنيحصل الرأي العام على وجهة نظر صحيحة عن تنظيم داعش. وقد رسم هذا التقرير إطاراً من شأنه أن يشكل أساسا للدراسات المستقبلية فيما يتعلق بأشكال نهج التنظيم وأيديولوجيته الأساسية، وقدم للرأي العام المعلومات السليمة عن التنظيم الذي عرفه من خلال وسائل الإعلام المختلفة وعلى رأسها وسائل التواصل الاجتماعي. لكن كثرة الأسئلة الموجهة إلى رئاسة الشؤون الدينية من داخل القطر وخارجه حول داعش خلال الفترات التالية وبلوغ مسألة تزويد الشباب بمعلومات حول هذا التنظيم وفعالياته مبلغ الضرورة بعد أن كانت حاجةً تطلب الأمر إعداد تقرير أشمل. بناء على هذا تقرر في الاجتماع الذي عقده المجلس الأعلى للشؤون الدينية بالتعاون مع رئاسة الشؤون الدينية بتاريخ 18/ 11/2015؛ الشروع في الدراسات المطلوبة لإعداد تقرير جديد يدرس المسائل بمزيد من التفصيل، ويظهر الوثائق والمنشورات التي يتخذها التنظيم كمراجع. لم يتم إلى الآن إعطاء الأهمية اللازمة لهذا الموضوع في العالم الإسلامي الأمر الذي جعل جهود رئاسة الشؤون الدينية في هذا المجال ذات معنى أكبر.

ومع أنّ التقرير الذي أعدته سابقاً رئاسة الشؤون الدينية بشأن بنية التنظيم الفكرية والأيديولوجية قد أدى قسماً كبيراً من حاجة الرأي العام إلى المعلومات، لكنّ التطورات الجديدة جعلت إعداد تقرير أشمل أمراً

1 تم تغيير كلمة ʻداعشʼ الواردة في التقرير المذكور المنشور بتاريخ 16. 08. 2015 من قبل رئاسة الشؤون الدينية إلى «داعش (دولة العراق والشام)» بتعميم وزارة الخارجية في تاريخ 11 كانون الأول عام 2015 .

ضرورياً. والهدف من إعداد هذا التقرير هو دراسة إطار التقرير السابق بشكل مفصل وإبراز نهج التنظيم بالتفصيل متناولاً العناوين الفرعية للمواضيع التي تمت الإشارة اليها بخطوطها العريضة، وتقييم هذه الآراء على ضوء الأفهام الإسلامية الصحيحة. في هذه الدراسة التي تهدف إلى تمحيص الطريقة التي تتناول بها تنظيم داعش الأفهام الإسلامية والنصوص الدينية؛ تم الاستشهاد بالمعلومات المتعلقة بفترة تشكل التنظيم وبنيته بالقدر الذي يخدم هدف الدراسة. باختصار هذا التقرير الموجود بين أيديكم يتوقف بالأكثر عند النهج الديني للتنظيم وتداعيات هذا النهج على عقيدته وفهمه للفقه. إن مكافحة داعش والتنظيمات المشابهة له مكافحة فعالة يتعلق أساساً بإزالة عدم المساواة والمظالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. أضف إلى هذا أن انتشار الأفهام الدينية الصحيحة والمعقولة في بلدنا والعالم الإسلامي ورفع مستوى العلم سوف يلعبان دوراً مهماً في مكافحة هذه التنظيمات المستعدة لأن توقع الشباب في فخاخها باستخدام بعض الحجج الدينية. كما يهدف هذا التقرير إلى المساهمة في عملية التوعية التي هي موضوع الحديث.

إن هناك أسباباً سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تقف وراء تزايد أعداد التنظيمات المشابهة لداعش وسقوط الشباب بسهولةٍ في فخاخ هذا النوع من التنظيمات التي تميل إلى العنف. في هذا الصدد يمكن القيام بالتحديدات التالية فيما يتعلق بالمسلمين الذين يعيشون في الدول الغربية: هاجر ملايين المسلمين إلى أروبة الغربية و أمريكة الشمالية بحثاً عن العمل نتيجة الأزمات التي أوجدها المستعمرون في البلاد الإسلامية فتم استقبالهم في البلدان التي هاجروا إليها بشيء من التسامح لكن لما تبين مع مرور الوقت أنهم باقون في هذه البلدان يقاومون سياسات الاستيعاب بدأ السكان المحليون يبدون موقفاً مليئاً بالأحكام المسبقة ضد المسلمين. أما الجيل التالي من الأقليات المسلمة فقد تعلم لغة البلد الذي يعيش فيه وبدأ يطالب بحقوقه الديمقراطية فكان لهذا الأمر تأثيراً في إحياء معاداة الأجنبي وولادة الإسلاموفوبيا وانتشارها. في هذه الفترة تبين أن التنظيمات التي تؤيد العنف في البلدان الإسلامية تقوم بتسيير حملات دعائية عبر الشباب المسلمين الذين يشعرون بأنهم مهمّشون في البلاد التي ولدوا وترعرعوا فيها فقط لأنهم مسلمون أو أجانب وأن الدول الغربية ظلت مقصرة في اتخاذ مواقف لحل المشاكل. وعلى إثر ذلك انتشرت بين شباب المسلمين هذه الأفكار التي تدعو إلى العنف. صنفت الدول الأروبية المسلمين الى مسلمين معتدلين وآخرين راديكاليين بأسلوب متغطرس ومتعجرف بدلاً من أن تطبق سياسات تشجع المسلمين على التكيف والتأقلم مع المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها وتزيد من انخراطهم فيها بتطوير بعض التدابير ونشرت مواقفها هذه عبر وسائل الاتصال الجماعي فأفضت بالمسلمين إلى حالة الدفاع المستمر عن النفس في المجتمعات الغربية. ولم يكن هناك مفر من أن يؤدي هذا الوضع إلى ظهور أزمة الهوية والإذلال النفسي لدى شباب المسلمين.

أما فيما يتعلق بتأثير الأحداث الجارية في الآونة الأخيرة في العالم على الجغرافية الإسلامية فيجب تسليط الضوء على المسائل التالية: احتلال العراق وأفغانستان، وهجمات 11 أيلول، وبقاء مشكلة القضية الفلسطينية دون حل وبقاء العالم صامتاً أمام قمع المطالب الديمقراطية للربيع العربي بطرقٍ غير ديمقراطية أو إبداؤه ردود أفعال ضعيفة جداً وغيرها من الأوضاع أضحت سبباً في انتشار الشعور باليأس وخيبة الأمل في البلدان الإسلامية. كما إن إقصاء العرب السنة من العملية السياسية من خلال سياسات طائفية تم تطبيقها بعد احتلال العراق أعطى

للتنظيمات الراديكالية الفرصة التي تريدها، فباتت الأرضية جاهزة من كل النواحي لظهور التنظيم اللاإنساني الذي يعرف اليوم بداعش.

عند تقييم هذا التقرير المعد يجب أن لا تغيب عن الأنظار هذه النقطة: إن التنظيمات المشابهة لداعش هي نتاج الظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وحروب القوى العالمية والظروف المتعلقة بتلك الحروب. وتقييم هذه البنى على أنها نتاج الأفهام الدينية أو التفسيرات الإسلامية ليس صحيحاً. من ناحية أخرى تعبر داعش ومثيلاتها عن نفسها بخطابات دينية وتستعمل النصوص قدر الإمكان لتقوية حججها. لكن الخطاب الديني نتيجةٌ أكثر من كونه سبباً. بعبارة أخرى، إن العوامل والظروف الدولية القائمة كفيلة بنشوء داعش والحركات المشابهة لها حتى لو اعتبرنا أنها لاتملك مرجعيات دينية. وهذه الحركات تستخدم لغة الاسلام لمجرد ظهور نتائج الظروف والأسباب المذكورة في البلاد الإسلامية. ولو كان الوضع ذاته حصل في الصين أو الهند لكان من المحتمل أن يستعمل الهنود أو الصينيون لغة ذات صلة بالخطابات الكونفوشيوسية والهندوسية.

وباختصار، ساذج من يعتقد أن هذا التنظيم هو نتاج قراءة خاطئة وفهم خاطئ للنصوص، وأنه يمكن التخلص منه ومن أمثاله بمجرد تصحيح أفهامنا الدينية. لهذا السبب هناك حاجة ماسة إلى إخراج المسلمين من هذا الوضع الذي يبقيهم في حالة دفاع مستمر عن النفس، ويجعلهم يصرفون طاقاتهم في غير مكانها، وتبقي المجتمعات المسلمة في وسط ردود الأفعال، وتطوير مواقف أكثر سلامة. وأخيراً، دعونا لاننسى أنّه لا يمكن القضاء على داعش وما شابهها من التنظيمات التي هي نتاج العصر الحديث والمؤثرات الدولية الخاصة والظروف التي لا تحقق العدالة إلا بإزالة الظلم وانعدام العدل هذا.

تناول المختصون في العلوم السياسية والعلاقات الدولية وشؤون الجماعات الإرهابية واستراتيجاتها فترة تشكل هذا التنظيم بدءاً من أبي مصعب الزرقاوي الذي قاتل الروس في أفغانستان، وتابع نشاطه في الأردن والعراق وصولاً الى أبي بكر البغدادي زعيم التنظيم وقاموا بتحليلها من كافة الجوانب. في هذه الدراسات تم تمحيص وتدقيق الأسباب العالمية والمحلية —التي أشرنا إلى جزء منها آنفاً— التي مهدت الطريق أمام تشكل هذا التنظيم. في هذا السياق تحمل الموارد البشرية التي تشكل التنظيم وتغذيه والصفات التي تحملها؛ أهميةً في تحليل أيديولوجية داعش الدينية تحليلاً سليماً. من اللافت للانتباه أن الشباب الذين يشكلون العمود الفقري للتنظيم اضطروا للعيش سنوات طويلة في ظل العنف والوحشية في مناطق الحروب ولم يحصلوا على أي تعليم. أما كتلة الشباب الثانية التي انضمت إلى التنظيم فهي من أبناء المهاجرين الذين يدعون 'بمهاجري الاستعمار' الذين تم إقصاؤهم واحتقارهم في أروبة. هؤلاء الأبناء الذين ولدوا من أبوين مسلمين لجأوا إلى الإسلام باعتباره أيديولوجيةً بسبب ما عاشوه من أزمات في الهوية. في حين تتكون المجموعة الثالثة التي انضمت إلى التنظيم من المسلمين الشباب الذين اهتدوا الى الإسلام حديثا. من سوء حظ هذه المجموعة أنها تعلمت الإسلام من مسلمين آخرين كانوا يعانون مشكلة الهوية. فانجرّ هؤلاء المهتدون مع الآخرين الى العنف. القاسم المشترك بين هذه المجموعات الثلاث هو تبنّيها أفهام العمل والعنف والغضب التي جمعتها من النصوص التي تعكس ظروف المعارك وأوضاعها

في تاريخ الإسلام وليست التعاليم والقيم العالية المبنية على الإيمان–العمل–الأخلاق التي نسميها برسالة الإسلام الرئيسية.

كما يتم التأكيد على أن الميل إلى التحول الراديكالي كان له تأثير في استقطاب داعش للجيل الثاني من المسلمين الذين ولدوا وكبروا في البلاد الغربية والمنضمين الآخرين إليها من أصول غربية والذين اهتدوا حديثاً إلى الإسلام والمعروفين باسم "homegrown" الذين يحسب لهم حساب ضمن الموارد البشرية التي تغذي داعش. يعتقد الشباب الذين وجدوا أنفسهم في صراع ثقيل مع نظام القيم السائدة في المجتمعات التي يعيشون فيها وتأجج الغضب في نفوسهم التي ضاقت ذرعاً بسياسيات الإقصاء والتهميش؛ أن التنظيمات من أمثال داعش تقدم لهم مثالاً شمولياً حيث يستطيعون فيه إصلاح أنفسهم وبناءها من جديد. وفي هذا الصدد يتم الحديث عن "الراديكالية الإسلامية" ولكن لا يخفى على أحد أن هناك العديد من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى ما يسمى بالتحول الراديكالي. فكما ظهرت الإسلاموفوبيا (معادة الإسلام) التي نسميها اليوم بإعادة إحياء الذهنية الصليبية رغم الخطابات المبنية على المحبة في أدبيات المسيحية الحديثة، وكما مارس الرهبان البوذيون التعذيب على مسلمي أراكان رغم العناصر السلمية الموجودة في تعاليم البوذية، كذلك يجب أن لا ننسى أنه من الممكن الدخول في التحول الراديكالي مستعملاً الموتيفات الإسلامية. لكن يجب القول بوضوح إن وضعاً كهذا لا ينجم إطلاقاً من الديناميات الخاصة بالدين الإسلامي. وبما أن هذه حقيقةٌ فسيتم في الفصول اللاحقة من التقرير القيام بالتحليلات العلمية التي تبين أن داعش والتنظيمات المشابهة تستغل القيم الإسلامية وتستند على طريقة متماسكة ومنطقية للحصول على المعلومات الدينية. في هذا الإطار سيتم دراسة الأقوال والخطابات التي تنتجها داعش في مجال العقيدة والعمل والأفعال التي تضعها حيز التطبيق في ضوء المقاربات العلمية التقليدية والحديثة.

١– الفهم الديني للتنظيم:

أ– انعدام الأصول أو إساءة استعمال النصوص الدينية!

حين علم سيدنا محمد (ص) مبادئ الدين الإسلامي علم معها أصول فهمها وتنفيذها في واقع الحياة. وفي هذا الصدد قام المسلمون بتحديد وشرح أصول العقيدة واستنبطوا «أصول الدين» انطلاقاً من القرآن الكريم وسنة الرسول (ص)، وطوروا علم «أصول الفقه» الذي يضبط عملية استنباط أحكام الدين وقواعد فهم النصوص بشكل صحيح. وقد تلقى جيل الصحابة كيفية فهم القرآن الكريم وكيفية تطبيقه من رسول الله (ص)، ونقل الصحابة الأحكام الشرعية التي تلقوها من الرسول (ص) إلى طلابهم من جيل التابعين. وتم تحديد كيفية الوصول إلى حل المشاكل الجديدة من خلال النظر إلى ممارسات جيل الصحابة. وانتقل التراكم العلمي من جيل إلى جيل، حتى تم تطوير فهمٍ دينيٍ في غاية الرسوخ والنضج والضبط على أيدي مذاهب الفقه والفكر الإسلامي.

وخارج هذه العملية جرى في عصر جيل الصحابة محاولات في استنباط الأحكام من خلال تفسير الآيات انطلاقاً من النصوص ومعاني الألفاظ دون التوقف عند العلم المنقول عن الرسول (ص) ودون التلقي عن الصحابة الفقهاء.

إلى جانب ذلك؛ ظهر النهج الذي يقطع آيات القرآن عن سياقه، ويتجاهل الأهداف الرئيسية للنصوص أي «مقاصد الشريعة» لأول مرةٍ من قبل فريقٍ عُرف باسم الخوارج. ومن أبرز الاستنباطات العجيبة التي وردت على لسان رئيس الخوارج نافع بن الأزرق في تفسيره لقول الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الذي ضاق ذرعاً بموقف قومه القمعي اللامبالي: «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)» (نوح، 27-71/26) جواز قتل المخالفين الذين يكفرّهم الخوارج حتى لو كانوا من الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم[2]. وهذا مثالٌ يبين إساءة تفسير الآية بقطعها عن سياقها، وتحويلها إلى حجة لتبرير قتل الأبرياء. وقد استمر موقف الخوارج المذكور الذي يمثل نموذج الخطاب الديني الإقصائي في العصر الحديث أيضاً على يد خلفائهم من التنظيمات من أمثال داعش.

وقد اضطر ابن عباس (رض) الذي وفد على الخوارج رسولاً من قبل علي (رض) للتفاوض معهم إلى أن يذكرهم ويقول لهم: "جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله (ص)، ومن عند صهر رسول الله (ص)، عليهم

2 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، منشورات عبد الحميد الهنداوي، مكان وتاريخ النشر غير مذكور، ج 3، 105.

نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد''، أي أنهم لم يستفيدوا من تراكمهم العلمي، وهم بالتالي محرومون من الفهم الديني الموثوق[3].

والاتهام نفسه يوجه اليوم إلى داعش بأنهم رغم افتقارهم إلى الأهلية العلمية اللازمة للاستدلال، يعمدون إلى استنباطات من النصوص والآثار القديمة، في نهج ليس له أي أساس في تراث العلوم الإسلامية. وكذلك التأويلات التي يقوم بها داعش للآيات مجتثةً من سياقها، ودون النظر إلى الأدلة الأخرى ذات العلاقة بالموضوع، ودون اعتبارٍ لمقاصد الشريعة؛ ليس لها أي أساس شرعي، ولن يكون.

وواضحٌ أيضاً أن داعش إلى جانب نهجه الانتقائي المزاجي في استدلاله بالنصوص والتراث العلمي؛ يولي أهميةً كبيرةً للعزو إلى بعض المؤلفين من أمثال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب. فترد أسماء كتب مجموع الفتاوى لابن تيمية، والتوحيد لابن عبد الوهاب، وشروح هذين الكتابين، ومجموعة الدرر السنية التي تضم مؤلفات ابن عبد الوهاب وأتباعه؛ بكثافة بين مراجع منشورات هذا التنظيم. لهذا السبب يجب التوقف عند تعبير «النهج السَّلَفي» الذي يحاول داعشٌ أن يظهر نفسه جزءاً منه لإضفاء الشرعية على نفسه.

ب– المصدر الذي يستد إليه داعش في تحريفاته: الظاهرية– السلفية.

يستخدم مصطلح ''السلف'' في الفكر الإسلامي للتعبير عن الجيل الأول الممثل بالصحابة والتابعين. والنهج الذي يتوقف عند حدود دلالة النصوص دون اللجوء إلى التأويل والتعليق لا سيما في المسائل الاعتقادية، ويبتعد عن المسائل التي لم يتم تناولها في عهد الصحابة والتابعين؛ يُعْرَفُ بشكلٍ عامٍّ ب''النهج السلفي''. وعُرِفَ المحدثون والفقهاء الذين تبنوا هذا النهج بوصف ''السلفي''[4].

يسعى داعش والمجموعات أمثالها في أيامنا إلى إضفاء الشرعية على أنفسهم من خلال نسبة أنفسهم إلى السلف الصالح (الجيل الأول). ويتبنى هؤلاء في الغالب التوجه الظاهري، ويلتمسون فيه إضفاء الشرعية لأنفسهم. وتشكل الفئة التي تحمل صفة أهل الحديث وأصحاب الحديث مراجعهم التي يعودون إليها، ويرجعون إلى ابن تيمية وابن القيم الجوزية من العصور الوسطى، ومحمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث.

في الواقع، لدى البحث عن الظروف السلبية التي دفعت إلى ظهور حركة الاصلاح التي قادها محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر يمكن الحديث عن ظهور بعض الحقائق مثل الابتعاد عن الإسلام الصافي، وظهور مرض التقليد والتعصب، وحل الآراء الشخصية للعلماء وأفكارهم محل النصوص وتفسيرات النصوص، وتسلسل الكثير من الخرافات إلى الإسلام عن طريق الصوفية، واستمرت هذه الحالة في القرون التالية.

3 النسائي، السنن الكبرى، بيروت، 2001، الحديث، 51، نشر 8522. ابن الهمام، فتح القدير، بولاق، 1316، ج 4، 410.

4 انظر: إسماعيل حقي الإزميرلي، علم الكلام الجديد/ Yeni İlm-i Kelâm، إسطنبول 1339–1341، ج 1، 98.

وقد اتخذت التوجهات الاصلاحية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث والعصر الحديث لنفسها شعار الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصافي في عصره الأول أي في زمن السلف كحلٍّ للمشاكل التي أشاروا إليها. وبتوصيف هذه التوجهات في خطوطها العامة بالسلفية تصدرت القرن العشرين[5].

وجاء المناخ السائد في العالم الإسلامي في القرن العشرين ليعد أرضية تحول التيار السلفي إلى مفهوم سياسي. إذ نشطت الحركات السياسية ذات التوجهات السلفية في مصر والباكستان لا سيما في فترة الحرب الباردة. كما أن حركة الجهاد التي نشطت في المرحلة التي أعقبت احتلال أفغانستان كانت تحمل نفس التوجهات. إضافة إلى أن المنظمات المتطرفة التي ظهرت أو التي ازداد نشاطها بعد أحداث 11 أيلول تحمل سمة السلفية من حيث مفاهيمها الدينية.

وإلى جانب الخط السلفي الذي يتخذه داعش من خلاله الشرعية لنفسه؛ تشكل الحركة الوهابية التي تأسست حول أفكار محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر، وتحولت في وقت لاحق أيديولوجية في العصر الحديث؛ المصدر الأساسي المؤثر في تنظيم داعش. فالمراجع التي يستعملها داعش في ملفاته تبين وقوفه في أسس مبادئه قريباً من الخط الوهابي.

لكنه لا يمكن وضع الحركات السلفية في الحاضر في نفس النقطة، ولا يمكن القول إنها جميعاً تميل نحو العنف. وتظهر التوصيفات المختلفة مثل «السلفية الإصلاحية» و»السلفية الثورية» و»السلفية الوهابية» و»السلفية السعودية» وغيرها لبيان هذا الفرق[6].

فالمجموعات السلفية تتمايز عن بعضها بفوارق عميقة لا سيما في المواقف السياسية واللجوء إلى العنف، ويشكل توجيه إعلام داعش الاتهامات والانتقادات الشديدة للإدارة السعودية وللعلماء السعوديين مظهراً بارزاً في هذا الموضوع. فالفارق بين السلفية السعودية والسلفية الجهادية اللتين نشأتا على خط السلفية الوهابية يُظهر تمايز التيارين في عن بعضهما في المواقف السياسية. ومن الصواب في هذا السياق استخدام وصف الحركات الثورية للمنظمات ذات التوجهات العنيفة درءاً لاستغلالها المفاهيم القرآنية مثل الجهاد بشكل سيء.

يتجلى ارتباط داعش بالخط السلفي الذي يستغله في الطابع الظاهري الذي يهيمن على تأويلاته. لكن هذه الظاهرية بعيدةٌ كل البعد عن النهج المنظم الثابت، إذ يتميز بالمزاجية والانتقائية. وبذلك يتبين أن داعش لا يملك منهجيةً في نهجه الديني.

5 محمد علي بويوك قره، السلفية في حاضرنا وتأثيرها على الحركات الإسلامية /Günümüzde Selefilik ve İslâmî Hareketlere Olan Etkisi، السلفيون في التاريخ والحاضر/ Tarihte ve Günümüzde Selefiler، إسطنبول2014، ص 485.

6 حلمي دمير، السلفيون والحركة السلفية داعش؛ وسنيتهم إلى أي حدٍ؟ / Selefiler ve Selefî Hareket Işid Ne Kadar Sünnidir?، معهد تركية القرن الواحد والعشرون (تقرير خاص)، آب 2014، ص 14. محمد علي بويوك قره، السلفية في حاضرنا وتأثيرها على الحركات الإسلامية، ص 488 وما بعده.

ج – السمة المميزة لتأويلات داعش: الانتقائية والبراغماتية والظاهرية

توصف الأيديولوجيات بأنها ''صورة مشوهة للحقيقة». فالحقيقة قائمةٌ في أساسها، لكن الظاهر الذي يبدو في الواقع انعكاسٌ مشوه عن تلك الحقيقة. فالمصادر الأساسية التي يستخدمها داعش وأمثاله من التنظيمات هي القرآن والسنة وكتب التفسير والحديث والفقه، وهي المصادر الأساسية المقبولة لدى المسلمين كافة. لكن عملية التشويه تتجلى في طريقة استخدام هذه المصادر.

فالآية التي تبين تصرف الله تعالى في ملكوته وانفراده بها في قوله تعالى: «...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (الأعراف، 54/7) على سبيل المثال ترد في ملفات التنظيم كدليل على وجوب الابتعاد عن «الانتخابات الشركية» التي تجري في تركية[7]. ومن خلال قراءة التنظيم للقرآن بهذا الشكل الانتقائي لتحقيق أغراضٍ عملية؛ يوجه التنظيم عناصره إلى التلاوة دون تزويدهم بمعلومات أولية ولا آلية منهجية.

ففي مقطع الفيديو المنشور في تموز عام 2014 لأبي البراء الهندي أحد أعضاء التنظيم يقول فيه: ''افتحوا المصحف واقرأوا آيات الجهاد، كل شيء سيكون مفهوماً. كل العلماء يقولون لي: (هذا فرض، وهذا ليس بفرض، الجهاد ليس فرضاً في هذا الزمن)... دعوا كل هؤلاء جانباً، واقرأوا القرآن، فسوف تعلمون ما هو الجهاد!''[8]. وهذه الوصية تشكل مثالاً عجيباً يبين افتقار التنظيم في استراتيجيته لمبدأ يسير عليه.

وعند النظر من هذه الزاوية يتبين لنا أنه من العسير التلاعب بشخص يحاول فهم النصفي إطار أصولٍ وآليات واضحة، وتحويله إلى سلاحٍ حيّ. وهذا ابن لادن نفسه يمتدح السطحية والخروج على الأصول في مقابلة أجريتٍ معه في كانون الأول عام 2001 فيقول: ''الشباب الذين نفذوا العمليات ليسوا أتباع فقهٍ معروفٍ منتشر، بل أتباع فقهٍ يعتمد ما جاء به الرسول (ص) وحده أساسا''.

وكذلك تتضمن إحدى رسائل زعيم عملية احتلال الحرم عام 1979 جهيمان العتيبي تعابير مشابهة لذلك. إذ يذكر العتيبي أتباعه بعدم الرجوع إلى العلماء الذين لا يثقون بهم، واكتفائهم بالرجوع إلى موسوعات الأحاديث والتفاسير المعتمدة لدى السلفية في تعلمهم المسائل الدينية، وبهذه الطريقة يزيدهم الله علماً[9].

هذه التعابير التي يدعم بعضها بعضاً يقدم معلوماتٍ عن النهج الذي تتبعه التنظيمات السلفية المتطرفة في تناول المصادر الدينية. ونلاحظ ضحالة الفقه وعدم كفايته عندهم من خلال الإجراءات الفقهية التي تصدر عن أشخاصٍ من أمثال هؤلاء الذين لا يملكون تراكماً فقهياً راسخاً عندما يتولون منصب الإفتاء في داعش وأمثاله.

---

7 القسطنطينية4/1437، ص 62.

8 رسالة مفتوحة إلى الدكتور إبراهيم عواد البدري الملقب بأبي بكر البغدادي، ص 4 – 5.

(http://www.lettertobaghdadi.com/14/arabic-v14.pdf)

9 محمد علي بويوك قره، السلفية في حاضرنا وتأثيرها على الحركات الإسلامية، ص 504–505.

ومن الوضوح بمكانٍ افتقار تنظيم داعش وأمثاله إلى العلماء، وهذه التنظيمات جميعاً بوضعها الحالي تحمل سمة الحداثة. والعلماء الذين لا يساندون هذه الحركات في الأصل أشخاص لا يؤخذ عندهم بآرائهم. والعلماء الذين يوجهون أدنى انتقاد لممارساتهم يواجهون جميع أنواع الاتهامات بما فيها الصهيونية[10].

وإمعاناً منهم بتسفيه آراء العلماء الذين لا ينضمون إلى صفوفهم يعلنون شعارات من قبيل: "لا يمكن للقاعد – الذي لا يشرك في الجهاد– أن يفتي للمجاهد"[11]. وفي النتيجة، تشكل الأيديولوجية المنغلقة التي لم تنشأ وفق الأصول السليمة على المصادر الصحيحة الأرضية المناسبة للتطرف.

10 هشام الهاشمي، عالم داعش، لندن 2015، ص 46.

11 عبد الله بن عبد الله الهاشمي، تحذير الطائش من ضلال داعش، دار ماجد العسيري 2015، ج 3، 129.

٢- نظرته إلى المفاهيم الاعتقادية

من هو المسلم؟

للإجابة على هذا السؤال في جملة واحدة، المسلم وفقاً لمفهوم التنظيم هو الشخص المرتبط بداعش، أو الأشخاص الذين يعيشون في المناطق التي تقع تحت سيطرته. وهنا يمكن ملاحظة أن موقف داعش الاقصائي والاستعدائي من بقية المسلمين إنما هو انعكاس لتأويل مفهوم الايمان في خط السلفية الوهابية الذي يتبنونه وفق أغراضهم الخاصة.

ويتلخص فهم الإيمان عند السلفية الوهابية في بحث معاصر على النحو التالي: «الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. ونقص إحدى الأمور الثلاثة يؤثر على الإيمان. وبخصوص مسألة ذات الله وصفاته يجب الإيمان بالمعنى الظاهر لما ذكره القرآن والحديث».

ولا يجوز تأويل الصفات الخبرية والآيات المتشابهة في ضوء الأسس والمبادئ المستنبطة من الآيات المحكمة بالشكل الوارد في علم الكلام. ويتضمن التوحيد ثلاثة أبعاد: الربوبية والألوهية والأعمال. والاعتقاد بوحدانية الله يجب أن يتضمن هذه الأبعاد جميعاً دون أي نقصان. والشخص الذي يكون عمله وفكره ناقصاً في هذا الصدد يكون مشركاً، وبالتالي يدخل في الكفر ويُكفَّر. ومرتكب الكبائر كافر أيضاً، إلا أن هذا الكفر لا يُخرجه من الدين[12].

ولا يجوز التسامح مع الكفر والشرك بأي شكل من الاشكال.

تأخير إصدار الحكم بالشرك والكفر لمجرد أنه صدر من المسلمين أو التراخي في بعض الملاحظات المعقولة في هذا الموضوع، يدعى ب''الإرجاء''. وهذا الوضع هو إحدى ممارسات فرقة المرجئة المبتدعين ويجب تجنبها. ومن أهم مبادئ العقيدة عندهم: ''الولاء'' والصداقة للمؤمنين، و''البراء'' مفارقة غير المؤمنين وإظهار العداء لهم[13].

12 انظر: لجنة، الدرر السنية في الأجوبة النجدية [بدون تاريخ نشر]/ 1996، ج 1، ص 480–484.

13 محمد علي بويوك قره، السلفية في حاضرنا وتأثيرها على الحركات الإسلامية، ص 486.

مقابل ذلك، الأصل في الإيمان هو التصديق حسب مفهوم الإيمان عند مذهبي الماتريدية والأشعرية اللذان يمثلان غالبية أهل السنة. والإقرار شرطٌ لكي يعتبر الشخص مسلماً في الحياة الدنيا، والأعمال لا تدخل في ماهية الإيمان[14]. لكن أكثر أهل الحديث الذين يأخذون مكانهم في أهل السنة، ويعتبرون الأعمال دليلاً على ماهية الإيمان مع وجود بعض الاختلافات الفرعية بينهم؛ لا يعتبرون نقصان العمل سبباً للخروج كلياً من الدين، بل يعتقدون بزيادة الإيمان ونقصانه''[15].

هذه المقاربات، تقدم منظوراً يسمح باحتضان أولئك الذين يرتكبون الكبائر باعتبارهم مسلمين، وذلك بخلاف مفهوم الإيمان عند داعش الذي يقترب من المعتزلة والمرجئة في مفهومه للإيمان والكفر؛ يغذي المواقف الإقصائية والاستعدائية التي يمكنها أن تفتح الباب إمام الممارسات التكفيرية. فزعيم التنظيم أبو عمر البغدادي الذي سبق أبا بكر البغدادي اعتبر إزالة الهياكل التي تعتبر مظهراً من مظاهر الشرك أول مبدأ من مبادئ العقيدة البالغة تسعة عشر، واعتبار الشيعة جماعة مشركة ومرتدة وكافرة، وتأسيس حزب سياسي والمشاركة في الانتخابات كفراً، وفرْضية قتال شرطة وعساكر أنظمة الطواغيت، وغيرها من المسائل تعتبر من مبادئ العقيدة[16]. وهذه الأمور تبين فهم العقيدة عند داعش.

ب- ما هي الردة؟ ومن هو المرتد؟

الارتداد هو خروج شخص مسلم من الدين بإعلان الإنكار أو الدخول في دين آخر. والمرتد هو الذين يخرج من الإسلام منكِراً، وينضم إلى صفوف الأعداء (ويصبح حربياً). لكن المرتد عند داعش ''هو اصطلاح يطلق على الشخص الذي يثبت إسلامه، ثم يعتقد ما تسميه الشريعة كفراً، أو الذي يخرج من الدين بقيامه بفعل أو قول وتحوله إلى الكفر''[17]، وهذا التعريف يبين أن الشخص الذي تصدر منه معصيةٌ قولاً أو عملاً يصبح مرتداً.

لكنه لا يجوز اعتبار الشخص كافراً بسبب تصرفه قولاً أو عملاً مالم يكن مرفقاً بإنكار قلبي. فالكفر ينقسم إلى قسمين: كفر حقيقي، وكفر حكمي. الكفر الحقيقي: هو خروج الشخص من الدين برغبته وإرادته، والتعبير عن ذلك والاعتراف به دون الوقوع تحت إكراه أو ضغط. فإن تعرض للإكراه أو الضغط فإن الاعتراف

14 عبد المعين النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، القاهرة 1986، ص 377–378. نور الدين الصابوني، الكفاية في الهداية، بيروت 2014، ص353. فخر الدين الرازي، معالم أصول الدين، القاهرة، بدون تاريخ، ص127. والعلماء المنسوبون إلى نفس المدرسة يدخلون الإقرار باللسان إلى ما هية الإيمان. انظر: كمال بن أبي شريف، كتاب المسامرة، إسطنبول 1979، ص 286–287.

15 لمزيد من التفاصيل في موضوع الإيمان عند جماعة أهل الحديث انظر: سونمز قوطلو، التقليديون الأوائل في الفكر الإسلامي، أنقرة، 2000، ص 73–152.

16 الدولة الإسلامية تتخذ من التكفير عقيدة والإرهاب منهجاً. http://www.alarab.co.uk/m/?id=30354.

17 القسطنطينية، 1/1436، ص 22.

والبيان الذي أدلى به يعد باطلاً. والكفر الحكمي: هو الاتهام الموجه من قبل الآخرين لشخصٍ بسبب قوله أو عمله على شكل ''أصبح كافراً''.

ولا بد هنا من تجنب هذه اليافطات، لأن الإيمان مرتبط بإرادة الأشخاص، ولا بد هنا من الأخذ ببيان الشخص وتعبيره، والرسول (ص) لم يعتبر المنافقين كفاراً، لأن المنافقين أعلنوا أنهم مؤمنون، ولا يمكن في الحياة الدنيا الكشف عن قلوبهم، لذلك لم يعتبروا كفاراً، لكن المنافقين كفارٌ عند الله الذي يعلم ما في قلوبهم، وستكون هذه الحقيقة جلية أمام الجميع يوم القيامة. لذلك يجب الحذر عند إصدار الأحكام في هذا الأمر لأن الله هو وحده الذي يعرف ما في القلوب. وقد زجر رسول الله (ص) أسامة بن زيد حين قتل شخصاً أعلن إسلامه في أرض المعركة قائلاً: ''إنه أسلم خوفاً منا''، فقال له الرسول (ص): ''هلا شققت عن قلبه؟''[18].

ما يفعله داعش كله محض تصور، وممارسة باطلة في إطلاق ''حكم التكفير''. فقد استخدم داعش وصف ''المرتد'' في الحرب الدائرة في سورية لا سيما بحق أتباع المجموعات الأخرى. وقد تجاوزوا ذلك إلى دعوة زوجات المقاتلين من أتباع مجموعات المعارضة إلى ''ترك أزواجهن لأنهم مرتدون، وإلا اعتبرن زانيات، وبالتالي يجب عليهن الهجرة إلى الأراضي التي تقع تحت سيطرة داعش''[19]. وتم تنفيذ القتل عقوبةً للإرتداد بحق العديد من الأشخاص أمام الملأ، وتم الإعلان عن هذه الإعدامات التي نفذت في وسائل إعلام التنظيم إمعاناً منهم في نشر التخويف.

لم ينص القرآن الكريم على أية عقوبة مادية بحق المرتد سوى العذاب الأخروي[20]. وعند دراسة العقوبة المادية التي نص عليها حديث الرسول (ص) [21] مع الآية 72 من آل عمران، يفهم منه أنه إجراء يهدف إلى الوقوف أمام المؤامرة التي تُعَدُّ ضد المسلمين. إذ لم يثبت في سنة الرسول (ص) أنه قتل أحداً بسبب تغييره معتقده الشخصي[22].

وعلماء الفقه الذين قيموا أدلة هذا الموضوع في إطار ''الوقوف'' يذكرون أن العقوبة المفروضة بحق المرتد ليس بسبب تغيير اعتقاده، وأن المرتد سينال عقوبته في الآخرة، والدافع لإجراء العقوبة الدنيوية بحق المرتد هو ما يحدثه تغيير الدين من تغيير الموازين الاجتماعية في ذلك العهد، واعتبار الارتداد فتح جبهة ضد المجتمع الذي هو عضو فيه. والفقهاء الذين تناولوا الموضوع من هذه الزاوية مثل أبو حنيفة، قدروا عقوبة الرجل دون المرأة بالإعدام، ولم يجدوا هذه العقوبة ضرورية في حق المرأة، ورأوا أنها لا تحمل القدرة في الحقيقة على الإضرار بالمجتمع المسلم[23].

18 مسلم، الإيمان، 158.

19 صالح حسين الرقب، الدولة الإسلامية (داعش)، غزة 2015، 164.

20 البقرة، 2 / 217. آل عمران، 3 / 69 – 91. المائدة 5 / 54. النحل، 16 / 106.

21 البخاري، الجهاد، 149. أبو داود، الحدود، 1.

22 العيني، عمدة القاري، بيروت، بدون تاريخ، ج 24، ص 80.

23 السرخسي، المبسوط، إسطنبول 1983، ج 10، 110. المرغناني، الهداية، دار الفرفور، دمشق 2006، ج 2، 462 463-. ابن الهمام، فتح القدير،

لأن شرط عقوبة الارتداد بالاعدام أن يكون الشخص محارباً، أي أن انضمامه إلى العدو يزيد من قوة العدو. وهذه الإيضاحات تبين لنا أن آراء الفقهاء تمت قولبتها وفقاً لظروف تلك المرحلة.

والإجراء المتبع بحق المرتد في تراث الفقه الإسلامي يتقرر معناه ضمن مفهوم الحرب والسلام والعلاقات الدولية وفي إطار القانون. وقد بين كثيرٌ من الفقهاء في عصرنا بجلاء أن العقوبات المتخذة بحق الارتداد هي عقوبات مرحلية. والتنظيم الذي لا يملك القدرة العلمية على تقييم النصوص والأحكام الفقهية في سياق إطارها التاريخي والاجتماعي، ورغم ذلك يتوسل إلى الأحكام الفقهية المرحلية كأداة للتخويف؛.. نعم هذا التنظيم لا زال ينفذ الإعدامات كعقوبة للارتداد.

ج- الإرجاء: وسيلة لتهميش المسلمين واعتبارهم 'الآخر'

كلمة الإرجاء في المعجم تعني الإمهال والتأخير. وفي الاصطلاح قبول الإيمان أساساً، وتأخير الأعمال وإمهال حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة[24]. ويرى داعش مصطلح «الإرجاء» ومفهوم المرجئة وفق تبنيه أخطر بدعة تهدد العقيدة الإسلامية، كما في العبارات التالية حول هذا الموضوع في مجلة دابق: «يحذر علماء السلف بشدة من بدعة الإرجاء. لأنها بدعة منحرفة ضالة تقلل من أهمية الكبائر بما فيها الكفر، وتميع دين المسلمين. وقد اتجهت جماعات المسلمين إلى ترك الفرائض الدينية، وأقبلوا على أعمال الدنيا، بل – الأسوأ من ذلك أنهم – شرعوا في القيام بالأعمال المنحرفة بسبب الإرجاء»[25]. والسبب وراء ظهور كل هذه الأمور السلبية للإرجاء هو الزعم بأن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان.

وفي النتيجة ظهر مفهوم يرى أن ترك الفرائض وارتكاب الكبائر لا ينقص من إيمان الشخص[26]. وما نفهمه من هذه النظرية التي يتبناها داعش أنه عندما يتحدث عن الإرجاء يستهدف بالأساس مفهوم الإيمان في المذهبين الماتريدي والأشعري الذين يمثلان معظم أهل السنة. كما نرى أنه أضيف لمصطلح الإرجاء في هذه الأوساط معان مختلفة أيضاً. والسبب وراء ذلك هو استخدام الإرجاء «كوسيلة لذم المعارضين ولومهم» عبر التاريخ[27]. وفي النهاية يحمل كل مذهبٍ ومدرسةٍ مفهوماً خاصاً به حول الإرجاء والمرجئة. يقول المقدسي الجغرافي المسلم

ج 4، 389. كاشف حمدي أوقور، نظراتٌ حول الردة في الفقه الإسلامي كعقوبة أصلية / İslâm Hukukunda İrtidat Fiili İçin Öngö-rülen Asli Yaptırım Üzerine Bazı Düşünceler، مجلة كلية الإلهيات بجامعة غازي في جوروم، 2002 / 1، ص 355 – 356. http://ktp.isam.org.tr/?url=makaleilh/findrecords.php.

24 بكر طوبال أوغلو – إلياس جلبي، معجم مصطلحات علم الكلام / Kelam Terimleri Sözlüğü، إسطنبول2010، ص 158، 236.

25 دابغ، 8/1436، ص 39.

26 دابغ 8/1436، ص 42.

27 انظر: جعفر قره داش، إشكالية مذهبية المرجئة وأبو منصور الماتريدي / Mürcie'nin Mezhepliği Problemi ve Ebû Mansûr el-Mâ-turîdî، مجلة الملل والنحل، 2010، ج 7، عدد 2، ص 191 – 221.

http://ktp.isam.org.tr/?url=makaleilh/findrecords.php.

الشهير في مسألة المرجئة: "والمرجئة عند أهل الحديث من أخّر العمل عن الايمان، وعند الكرّاميّة من نفى فرض الأعمال، وعند المأمونيّة من وقف في الإيمان، وعند أصحاب الكلام من وقف في أصحاب الكبائر ولم يجعل منزلة بين منزلتين"[28].

وعند الشيعة؛ هم الذين من لم يكفروا من وقف ضد سيدنا علي وخرج عليه، ويرون كل أهل القبلة مؤمنين لجهرهم بإيمانهم باللسان، ويدعون لهم بالمغفرة[29]. كل هذه العبارات مهمة لإظهار مدى التباين بين المذاهب في المعاني المسندة إلى مصطلح المرجئة.

وكذلك تصف داعش الأشخاص الذين تنعتهم بالمرجئة أنهم: "الذين لم يرو العمل شطراً من الإيمان، وأن ترك العمل بعد الإقرار بالإيمان لا ينقص منه". وهذا يطابق مع تعريف المرجئة الذي يتبناه أهل الحديث. لكن الفرقة التي يصفونها بالمرجئة لم تقلل من قدر العمل أبداً، لكنها رأت أن الأصح هو تقييم المسألتين بشكل منفصل في موضوع العمل والإيمان مع الأخذ بعين الاعتبار خطابي الله سبحانه المذكورين في القرآن الكريم وهما «آمَنُوا» و»وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ». ولو كان للعمل قيمة ذاتية وحده لقبلت أعمال المنافقين. والإيمان من دون العمل غير مقبول عند العلماء المسلمين. لكن الشخص المقصر في أعماله يبقى داخل دائرة الإسلام في كل المذاهب السنية بما فيهم أهل الحديث الذين ينتمي إليهم أحمد ابن حنبل وابن تيمية وابن قيم الجوزية. ورأي أهل الحديث هو أن الإيمان يزيد وينقص تبعاً الأعمال. وإلى ذلك ذهبت المذاهب الأخرى بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، بل قوة الإيمان هي التي تزيد وتنقص.

إن السبب وراء تحامل داعش على مفهوم الإيمان عند الماتريدية والأشعرية انطلاقاً من مصطلح الإرجاء هو أن هذا المفهوم الذي لا يعتبر العمل موضوع الإيمان يشكل عائقاً مهماً أمام فكره التكفيري الذي يعتمده في إقصاء معارضيه.

د- التكفير: وسيلة لإقصاء المسلمين

إن التكفير هو نسبة المسلم أو الشخص الذي يعرف بأنه مسلم إلى الكفر، والزعم بأنه كافر. وقد استخدمت هذه الظاهرة كسلاح في مختلف مراحل التاريخ، وكانت وسيلة في أيدي الفرق والمذاهب المختلفة في إقصاء وإذلال معارضيها. ونرى أن داعش أيضاً تقوم بتكفير كل الفرق ومنسوبيها وعلى رأسها الفرق المعارضة والمعادية لها سياسياً. وتذكر في تبرير تكفيرها لهم أموراً مثل الجلوس على طاولة المفاوضات مع أمريكا، والمشاركة في الانتخابات، والعمل كموظف في بنية إدارة الدولة العراقية أو السورية. كذلك تقوم داعش بتكفير أعضاء التنظيم الذين اعتقلوا وسجنوا في البلاد الغربية، وتم الإفراج عنهم فيما بعد، وتزعم أنه لا يمكن أن يتم الإفراج عن هؤلاء إلا بعد أن باعوا دينهم. لكنه مما يلفت الأنظار أن زعيم التنظيم البغدادي كان أيضاً معتقلاً، وتم

28 المقدسي، أحسن التقاسيم ، (نشر، M.J. De Goeje، E.J. Brill، 1906)، ص 38.

29 سعد بن عبد الله القمي، كتاب المقالات، طهران 1963، ص 5 – 6، 12.

إطلاق سراحه فيما بعد. وتشير هذه المعطيات أن التنظيم يستخدم ظاهرة التكفير كأداةٍ تخدم استراتيجيته بعيداً عن التفكير بمسؤوليته الدينية.

إن نظرة الإسلام الأساسية في مسألة التكفير هي أنه لا يمكن اتهام شخص يدعي الإسلام، ويصف نفسه بالمسلم بأنه ''كافر''. فكل من آمن بمبدأ '' أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله'' بقلبه، وأقر بها بلسانه فهو مؤمن. يقول الله في القرآن الكريم في هذا الأمر: ''يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً'' (النساء، 4/ 94)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ''مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ''[30]. وفي ضوء هذا النص وما شابهه يكون ''عدم تكفير أحد من أهل القبلة بسبب معصية ارتكبها، ما دام لم يستحلَّ عملاً حرمه الله على المسلمين'' مفهوماً من المفاهيمٍ الأساسية عند أهل السنة[31]. والعمل على تكفير الناس من أجل مصالح سياسية ودنيوية كما يفعل داعش إنما هو خروج عن طريق أهل السنة.

واستغلال النصوص وتفسيرها حسب مصالحه السياسية من أكثر الطرق التي يلجأ إليها داعش في التكفير. فقد تجاهل داعش المعاني الأساسية لقول الله تعالى: ''وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ'' (المائدة:44) وقوله تعالى: ''وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا'' (الكهف: 26)، ودعا رئيس الوزراء الجمهورية التركية، وزعماء الأحزاب السياسية التركية، ومسلمي تركية إلى التوبة بزعمهم أن الديمقراطية وتشكيل مجلس يمتلك حق التشريع خروج عن دين الله[32]. لكن تأويل هذه الآيات انطلاقاً من المبادئ الرئيسية لأهل السنة هو: ''من لم يؤمن بأحكام الله التي أنزلها''[33]. وتبدو المسألة بسيطة مجردةً عند طرحها على شكل وضع''أحكام الله'' في جانب ووضع''أحكام البشر'' في جانب آخر. ولا يبدو الأمر بهذه البساطة عندما نبين المسألة على شكل وضع ''مؤيدي تأويل الألفاظ والذين يزعمون أنهم يطبقون أحكام الله'' في جانب، و''مؤيدي تأويل يسعى لتحقيق الغايات بعد الأخذ بعين الاعتبار الأهداف الاساسية للدين والنصوص'' في جانب آخر. فإن كان عدم تطبيق النصوص كما تدل عليه ألفاظها خروجاً على حكم الله؛ يمكن عندئذٍ توجيه هذا الاتهام لسيدنا عمر رضي الله عنه أولاً، ومن بعده إلى كثير من المجتهدين الذين لم يطبقوا الآيات بالوقوف عند لفظها الظاهري في كثير من المسائل، منها؛ مسألة ''الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ'' (سورة التوبة:60)، ''وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا'' (سورة

30 البخاري ، الإيمان، 17؛ الصلاة، 28. أبو داود، الجهاد، 95.

31 الحاكم السمرقندي، السواد الأعظم، إسطنبول، 2013، ص17 – 18. البابرتي، شرح العقيدة التهانوية، بيروت 2009، ص 94 – 97. ابن أبي العز، شرح العقيدة التهانوية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 250.

32 القسطنطينية، 4/1437، ص 63.

33 ملا خيالي، حاشية على شرح العقائد، إسطنبول 1308، ص 78. الآلوسي، روح المعاني، بيروت 2009، ج 3، 314.لجنة، الإسلام من خلال الأسئلة/ Sorularla İslâm، منشورات رئاسة الشؤون الدينية، أنقرة 2015، ص 28، 163.

المائدة:38)، وتقسيم الغنائم (الأنفال:41). والمشكلة هنا هي الإعراض عن تقييم النصوص وتفسيرها حسب أصولها، والتوجه إلى التكفير انطلاقاً من الوقوف عند تفسير ألفاظها. وقد كان الخوارج أول من شرع في هذا التطبيق في التاريخ، وكان سيدنا علي أول ضحية لهذا التطبيق.

بل إن ابن تيمية باعتباره واحداً من مراجع داعش لها، ويكثرون من اقتباس أفكاره؛ فرق في مسألة التكفير بين اعتبار عملٍ معينٍ سبباً في الكفر، وبين تكفير شخص معين لارتكابه هذا العمل. ومن غير الصواب الحكم على النيات، والحكمٍ على الشخص بالخروج من الدين بسبب عمله هذا إن لم يرافقه تصريحٌ علنيٌّ يبين نيته في ارتكاب هذا العمل. وابن تيمية يقول في أواخر أيامه حسب ما ينقل عنه تلميذه الذهبي: ''أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم[34]. وهذه إشارة إلى أن ابن تيمية لم يكفر مسلماً من أهل القبلة.

والسبب وراء احتراس علماء المسلمين من مسألة التكفير هو التحذير الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يقول لمسلم «يا كافر»[35]. إذ المعيار الأساسي في هذه المسألة هو أنه ''لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله في الإيمان''[36] ، والتصرفات والمواقف التي تتجاوز هذا الأساس تتجاوز خط أهل السنة أيضاً.

34 الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت 1983، ج 15، 88.

35 أحمد بن حنبل، المسند، ج 2، 18. البخاري، الإيمان، 17، الأدب، 73. ابن حجر الهيثمي، تحفة المحتاج، مصر، 1938، ج 9، 88.

36 البابرتي، شرح العقيدة التهانوية، ص 97.

هـ- الشرك: وسيلة للإقصاء وتخريب الميراث التاريخي:

تدرجُ داعش شأنه في ذلك شأن الفرق السلفية الأخرى زيارةَ القبور والأضرحة، والدعاءَ فيها، واتخاذَ الناس بعض الأشخاص الذين يرون أنهم من أهل الفضل وسيلةً أثناء الدعاء إلى تصنيف الشرك، وترى أن الآيات التي تتحدث عن المشركين تنطبق على هؤلاء الناس[37].

ولا بد في تقييم الأمور الدينية الانتباه إلى المسافة بين المتشابهات والعينيات. فهناك فرقٌ كبيرٌ بين التلبس بقولٍ أو عملٍ فيه شبهٌ بالمشركين، وبين أن يكون الإنسان مشركاً. وهذا الأمر ينطبق على الفرق بين المنافق والكافر أيضاً. فهناك فرقٌ كبيرٌ بين التلبس بأعمال تشبه أعمال المنافقين والكفار وبين أن يكون الإنسان منافقاً أو كافراً. فزيارة القبور في الأصل عملٌ مشروعٌ أذن به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقوم به المسلمون منذ ذاك الزمان إلى يومنا هذا، ولا تجوز زيارة القبور التماساً لمنفعة أو توقع خيرٍ من صاحب القبر بالذات، لكن إدراج الدعاء إلى الله بجانب القبر، أي الطلب من الله مباشرةً في سياق الشرك خطأ بيّنٌ بليغ، وليس هناك نصٌّ واضحٌ يمنع الدعاء إلى الله عند القبور، وينقل الذهبي – أحد طلاب ابن تيمية الذي تعتبره داعش مرجعاً أساسياً لها – عن ابراهيم الحربي من مدرسة أهل الحديث قوله: «قبر معروف الترياقُ المجرَّبُ» وأن الناس كانوا يدعون الله بجوار قبر معروف الكرخي رجاءً منهم أن تكون أدعيتهم أحرى بالقبول. ويقول الذهبي بعد ذكره هذا الأمر «إِجَابَةَ دُعَاءِ المُضْطَرِ عِنْدَهُ؛ لأَنَّ البِقَاعَ المُبَارَكَة يُسْتَجَابُ عِنْدَهَا الدُّعَاءُ، كَمَا أَنَّ الدُّعَاءَ فِي السَّحَرِ مَرْجُوٌّ، وَدُبُرَ المَكْتُوْبَاتِ، وَفِي المَسَاجِدِ». ويضيف: « بَلْ دُعَاءُ المُضْطَرِ مُجَابٌ فِي أَيِّ مَكَانٍ اتَّفَقَ»[38].

عند النظر إلى القضية بعيداً عن الإفراط والتفريط يتجلى أن العمل الذي يودي بالإنسان إلى الشرك هو اتخاذ القبر معبداً، وزيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أمرٌ مشروع. ويدرك كل عاقل الفرق بين هذين العملين. وكل مسلم يؤمن بأن الله متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن اعتقاد الإنسان بوجود شريكٍ لله بإحدى صفاته يعتبر شركاً. وزيارة القبور لتذكر الآخرة والاعتبار كما أوصى الرسول (ص)[39] ليس من الشرك في شيء[40].

والعلاقة التي يربط بها داعش بين زيارة القبور والشرك تنعكس على شكل عداءٍ ثقافيٍّ وتدميرٍ للمعالم التاريخية. ومن أبرز أمثلة هذا الموقف الذي يتبناه هذا التنظيم هو تدمير الآثار التاريخية بما فيها القبور التي تنسب للأنبياء. وقد نشر التنظيم كتيباً[41] يدافع فيه عن موقفه بأن قبر الرسول صلى الله عليه وسلم هو القبر الوحيد المعلوم

37 القسطنطينية، 2/1436، ص 4-8.

38 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 343–344.

39 مسلم، الجنائز، 106، 108،. أبو داود، الجنائز، 81.

40 أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية/ مصر، 1319، ص 5.

41 القول الفصل في مشروعية هدم القبور المزعومة لأنبياء الله (عليهم السلام) 1435، ص 4.

من قبور الأنبياء، وأن هناك اختلافاً حول موقع قبر سيدنا إبراهيم (ص)، وأن أماكن قبور سائر الأنبياء مجهولة، واتهامهم بالتالي بتدمير قبور الأنبياء اتهامٌ باطل. وفي تبرير هدمهم القبور يستدلون بالحديث المروي عن سيدنا عليٍّ (رض) الذي يأمره فيه رسول الله (ص) بطمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة بالأرض[42].

مع ذلك يعتبر بناء القبور بشكلٍ بسيط أساساً، ولا مانع من إحاطة القبر بمواد مناسبة للحفاظ عليه من التدمير والضياع، ووضع اسم الميت على حجرٍ مكتوبٍ على القبر. وفي هذا السياق يروى نهي رسول الله (ص) البناء على القبور[43]. ومن المعلوم من جانبٍ آخر، وجود نعش الرسول (ص) وصاحبيه أبي بكر وعمر داخل الروضة في المسجد النبوي. ومن هذا المنطلق يبدو أن بعض الصحابة يؤمن بأن الأحاديث التي تنهى عن تشييد الأبنية والقبب على القبور لا تشير إلى حكمٍ مطلق، بل تقتصر على بعض الشروط والأحوال. ويفهم ذلك من بعض أعمالهم في هذا الخصوص. ولا يمكن الحديث هنا عن انتهاك النهي المذكور في الحديث. بل كان هناك نهي صارم بهدف الحفاظ على التوحيد كما هو الأمر في زيارة القبر في بداية الدعوة، ثم جاء تليين هذا الأمر مع انحسار خطر انحراف الناس عن التوحيد وعودتهم إلى الشرك، نزولاً عند حاجة المجتمع[44]. وقد فهم تنظيم داعش الذي قيّم هذه أحاديث النهي بعيداً عن سياقها التاريخي والاجتماعي على أنها نصٌّ في تدمير القبور. في حين أجاز عدد كبير من علماء الإسلام بناء الأضرحة – التي يراها داعش على أنها من مظاهر الشرك – على قبور العلماء المعروفين والصالحين وزيارتها[45].

إلى جانب هدمه القبور؛ يعمل داعش على تدمير الهياكل في المتاحف والمعالم التاريخية التي هي بمثابة المعابد واصفاً عمله هذا ''بتدمير الأصنام''[46]، وسلوك داعش هذا يحول بين المسلمين وبين تطبيقهم الأمر القرآني الذي يأمرهم بالسير والاعتبار من تاريخ البشرية. فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ''أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ'' (سورة الحج الآية:46). وداعش بتدميره التراث التاريخي وإزالته المعالم التي تبين موضع الناس تجاه الامتحان الإلهي في فترةٍ من فترات التاريخ تثبت عمى بصيرتها. فالصحابة الذين عاشوا فترة الشرك قبل الإسلام لم يدمروا الأبنية التي كانت تعرف بأنها قبور الأنبياء عند فتحهم منطقة الشام وبيت المقدس، ولم يأمر سيدنا عمر كذلك بتدميرها رغم علمه بها. ويروى أن كبار السلف الصالح مثل ابن عمر وسعيد بن المسيب يدعون قرب منبر الرسول صلى

https://alhimma.wordpress.com/2016/01/18

42 مسلم، الجنائز، 31.

43 مسلم، الجنائز، 32.

44 أحمد شنر، القبر (فقه)، الموسوعة الإسلامية للشؤون الدينية، ج 24، ص 35–36.

45 علي القاري، مرآة المفاتيح، بيروت، 2001، ج 4، ص 156. ابن عابدين، رد المحتار، الرياض 2003، ج 3، ص 144. الرملي، نهاية المحتاج، بيروت 2003، ج 3، ص 34.

46 القسطنطينية، 1/1436، ص 25–27؛ 3/1436، ص 68–69. دابغ، 8/1436، ص 22–24.

الله عليه وسلم[47]، وبينما يتجلى هذا الموقف تجاه الخواطر التاريخية من قبل السلف الصالح؛ قام بعض أشخاص الذين ينعتون أنفسهم ''بالسلفيين'' بتدمير عدد كبيرٍ من المعالم التي تحمل ذكرى الرسول (ص) والصحابة والسلف الصالح في المدن الإسلامية العريقة التي ولدت وتطورت فيها الحضارة الإسلامية، في خسارةٍ كبيرةٍ لا يمكن تلافيها من ناحية التراث الثقافي الإسلامي. ويبرهن هذا الأمر على مدى قوة تدمير العقلية السلفية اللفظية في الوعي التاريخي والثقافي. وهذا الفهم يحمله سائر التنظيمات المتطرفة التي تتغذى من هذا المنبع. وتنظيم داعش الذي يصف من يقوم بزيارة القبور على الوجه المشروع ولا يعتدي على المعالم التاريخية «بالقبوري» و«المشرك»[48] يسير في هذا الأمر على خطى ممثلي الفكر السلفي المقولب الضيق.

و- روايات الفتن: البحث عن مشروعية داعش.

مما لا شك فيه أن الفرق المتصارعة في ما بينها على مدى التاريخ سعت دوماً إلى تعزيز موقفها بالاستناد إلى سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد تم انتقال كثيرٍ من الروايات إلى أدبيات الحديث وتأويلها واستخدامها في هذا السياق. وكان هذا الموقف الذي ذكرناه مؤثراً جداً في تقييم الأخبار التي تعرف باسم ''روايات الفتن'' وتأويلها. وتسمى الروايات المتعلقة بالأحداث التي ستقع بين يدي الساعة في الوسط الثقافي الإسلامي بروايات ''الفتن'' و''الملاحم''.

كما تعرف الروايات ذاتها في وسط أهل الكتاب باسم ''أدب نهاية العالم / apokaliptik edebiyat» وهناك تشابه ملحوظ بين هذين النوعين الأدبيين[49]. وعند الأخذ بالاعتبار موضوع علم الغيب عند الرسول (ص) في الإطار العام للقرآن والسنة، يمكننا القول إن هذه الأخبار المتعلقة بالمستقبل والتي تشكل مجالاً مُشْكِلاً غير مذكورة في القرآن الكريم، وتنسب إلى الرسول (ص)[50]، ويمكن نجد في أدب الفتن آثار أحداث كثيرةٍ وقعت في التاريخ. ففي سنن أبو داود على سبيل المثال رواية عن النبي (ص): يخرج رجلٌ من وراءِ النهرِ يقال له: الحارثُ يُمَكِّنُ لآل مُحمَّدٍ، وَجَبَت على كلِّ مؤمنٍ نُصرتُه''[51].

47 إبراهيم الراوي الرفاعي، رسالة الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، إسطنبول 2002، ص 143، 148.

48 أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص 102.

49 محمد باججي، أحاديث أبوكاليبتيسيزم أو أدبيات الفتن، إسلاميات، 1998 / 1، ص 35 – 53.

50 محمد سعيد خطيب أوغلو، سيدنا النبي والوحي من غير القرآن / Hz. Peygamber ve Kur'ân Dışı Vahiy، أنقرة، 2009، ص 163.

51 أبو داود، المهدي، 12 (رقم 4290).

والشخص المذكور في هذه الرواية هو الحارث بن سريج الذي ثار على الدولة الأموية في عام 128 هـ (746 م.) وقتل[52]. ولم يقم شُرَّاح الحديث الذين نقدوا هذه الرواية وقيموها بالضعف لعلة سندها بربط محتوى هذه الرواية بهذه الشخصية التاريخية[53].

ويربط داعش خطابه الذي يكلفه بمهمة إلهية؛ بالملحمة الكبيرة التي ستقوم بين المسلمين والنصارى عند اقتراب الساعة. وفي ثقافة أهل الكتاب يسودً ارتقاب معارك عظيمة باسم «معارك أرمجدون» عند إقتراب الساعة[54]. وحسب الرواية التي يستند إليها داعش لن تقوم الساعة حتى تقع معركة كبيرة بين المسلمين والنصارى في منطقة الأعماق أو دابق: ''لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، ... فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَت الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ''[55]، ومن هذه الرواية يستمد داعش مشروعيته، ويزعم أن ساعة معركة دابق قد اقتربت، ويناشد المتطوعين للتوجه إلى سورية من أجل القتال في صفوفها. في حين يصرح الحديث المذكور بشكل واضح أنَّ جيش المسلمين سيخرج من المدينة، ولا يوجد انضمام إلى داعش من المدينة، ورغم ذلك يتم إخفاء هذا التفصيل أثناء عملية الترويج للتنظيم. وتسمية إحدى مجلاته التي ينشرها ''بدابق''، والآخرى ''بالقسطنطينية'' مستوحاة من الرواية المذكورة. ويستخدم داعش هذا الحديث[56] في دعاياته ضد تركية، ويزعم أن فتح إسطنبول باعتباره بشرى إلهية سيتحقق على أيديهم، وأن إسطنبول سيخضع لجيوشهم دون قتال، وسيدخلونها مكبرين[57].

لكن إسطنبول فتحت على يد السلطان محمد الفاتح في عام 1453، ومعلوم أن حديث رسول صلى الله عليه وسلم الذي يحث فيه المسلمين على هذا الفتح، وهو: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم

52 ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت 2004، ج 2، 1477. فان فولتن، سلطة العرب في الدولة الأموية، أبحاث في عقائد الشيعة والمسيحيين، ترجمه إلى التركية: محمد سعيد خطيب أوغلو، أنقرة، 1986، ص 40–41، 76–77.

53 عظيم أبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق بن أمير علي الديانوي، عون المعبود، بيت الأفكار الدولية، عمان، بدون تاريخ، ص 1839–1840. وانظر: أحمد بن حنبل، المقدمة، ، بيروت، بدون تاريخ، ص 313–314.

54 بيِق، مصطفى، أرمجدون ومملَكَة الإله / Armegedon ve Tanrı Krallığı، أنقرة 2008، ص251–259.

55 مسلم، الفتن، 9، رقم 2897.

56 مسلم، الفتن، ، 18، رقم 2920. ابن ماجة، الفتن، 35، رقم 4094.

57 القسطنطينية، 1/1436، 4–6.

الجيش ذلك الجيش»[58]يشير إلى هذا الفتح الذي تحقق من قبل السلطان محمد الفاتح[59]. والتوجه نحو انتظار فتح جديد مع اقتراب الساعة أمر لا مبرر له ولا معنى له، ولم يشكك أحداً من العلماء السابقين حتى العصر الحديث بوقوعٍ الفتح من قبل السلطان محمد الفاتح. ورغم ذلك يتبنى داعش خطاباً يهدف من خلاله التلاعب بكتلته المستهدفة، وأن إسطنبول ستفتح مرةً أخرى.

في هذا السياق نرى معارضي داعش أيضاً يلجأون إلى الروايات من أجل إقصاء التنظيم والحد من قوته. فيتم من ناحية إقامة علاقة بين الروايات الواردة عن الخوارج بالتنظيم، ويتم الربط من ناحية أخرى[60] بين داعش وأفعاله وبين خبر ضعيف يحمل عللاً كثيرةً حسب معايير علم الحديث[61] ينسب إلى سيدنا علي، وهو: ''إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ فَالْزَمُوا الأَرْضَ فَلا تُحَرِّكُوا أَيْدِيَكُمْ، وَلا أَرْجُلَكُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، هُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، لا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلا مِيثَاقٍ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ، حَتَّى يَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْحَقَّ مَنْ يَشَاءُ»[62].

يتم ربط كل جملة في هذه الرواية بداعش وأفعالها وفي الأخير يحاولون توجيه رسالة بأنه ينبغي الابتعاد عن التنظيم وعن دعمه. لكنَّ القضاء على حركة يتجلى للجميع حجم الدمار والخراب الذي تسببت به للإسلام والمسلمين والعالم بأسره كما ذكرنا أعلاهلا يحتاج إلى الرجوع إلى مثل هذه الروايات.

ز- داعش والخارجية (الخوارج):

يؤكد التنظيم دوماً في نصوصه الأساسية أنه متمسك باعتقاد أهل السنة، بل يرى نفسه الممثل الحقيقي لأهل السنة. ومقابل هذا تجمع القوى المعارضة على المساواة بين تنظيم داعش والخوارج. ويعترض ممثلو التنظيم

58 أحمد بن حنبل، المسند، ج 4، 335. عبد الرحمن البنا، بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، عمان، بدون تاريخ، ج 4، 4565، 4668. البخاري، التاريخ الكبير، حيدر أباد، 1360–1363، I/2(القسم الثاني) 81. البخاري، التاريخ الصغير، القاهرة، 1977، ج 1،306. الطبراني، المجموع الكبير، بغداد، 1978، ج2، 24. الهيثمي، مجموع الزوائد، بيروت1987، ج 6، 219. الحاكم، المستدرك، بيروت، بدون تاريخ، ج 4، 422. والحديث صحيح عند الذهبي. انظر بحثين في إثبات صحة هذا الحديث: علي ياردم، «دراسة في حديث الفتح» ، مجلة رئاسة الشؤون الدينية، أنقرة بدون تاريخ، ج 2/13، ص116–123. إسماعيل لطفي جاقان، الحقائق والأحاديث، ، إسطنبول2003، ص 459–462.

59 محمد عارف، ألف حديث وحديث، القاهرة، 1325، ص291. وقد مال إلى الرأي العام الذي يعتبر فتح القسطنطينية في الحديث الذي يستخدمه داعش قد تحقق؛ أحمد داود أوغلو في ترجمته لهذا الحديث ويقول: وقد تحققت معجزة رسول الله (ص) بفتح إسطنبول». انظر: أحمد داود أوغلو، ترجمة صحيح مسلم، وشرحه، إسطنبول 2013، ج 6، 5098.

60 رسالة مفتوحة، ص 26–27.

61 أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص 107–110. يتعرض الكتاب لرجال هذا الحديث وفق علم الرجال، ليصل إلى عدم صحته.

62 علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت 1985، ج 11، 283، (رقم 31530).

بشدة على هذا الوصف، ويزعمون فوارق ملموسة بينهم وبين الخوارج[63]. ويكفي لتحديد موضع داعش بالنسبة أهل السنة الذين يمثلون التيار الرئيسي في الإسلام اعتماد المناط الذي ذكره ابن عابدين من كبار علماء المتأخرين: «.. لِأَنَّ مَنَاطَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمْ [أي الخوارج] وَبَيْنَ الْبُغَاةِ هُوَ اسْتِبَاحَتُهُمْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَذَرَارِيِّهِمْ بِسَبَبِ الْكُفْرِ»[64]. ومن ذلك يظهر جليا أن داعش الذي يتبنى –كما يبدو في وثائقه وأعماله – موقفاً معادياً إقصائياً للمسلمين الذين لا يتبنون فكرها؛ يعتبر خارج التيار الرئيسي لأهل السنة.

ورغم أنه يمكننا تسمية داعش باسم «الخوارج الجدد» انطلاقاً من الجوانب التي تتشابه بها مع الخوارج، ورغم أنه في بعض مواقفه وتصرفاته يتوافق مع الفهم السلفي؛ لكن جغرافيتنا والعالم بأسره يقف وجهاً لوجه أمام حدث جديد لا مثيل له في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية. ورغم أن داعش الذي هو في أساسه نتاج العنف القائم في العصر الحديث يبدي بعض التشابهات السطحية مع بعض الجماعات في تقليدنا؛ فإنه تنظيم ولد وتطور ضمن الظروف المكونة له، وبنية غير واضحة الأصل والنسب.

63 https://ansarkhilafah.wordpress.com/2015/10/03/islam-devleti-harici-mi/

64 ابن عابدين، رد المحتار، ج 6، 413.

٣- تحريف التنظيم للمفاهيم الفقهية:

يظهر في وثائق التنظيم عزوٌ كبيرٌ إلى الأدبيات الفقهية. لكن العامل الحاسم في ذلك هو المصلحة والمنفعة، إذ يمكن للتنظيم العزو إلى أي مرجع يدعم آرائه دون النظر إلى الاتساق المنهجي. فالتنظيم الذي يعتمد نهجاً سلفياً ووهابياً، ويصنف الأشاعرة في «بدعة الإرجاء» في موضوع الإيمان؛ لا يجد أي حرجٍ في العودة في تأسيس موضوع الخلافة إلى أمثال الجويني والغزالي الذين ينتسبان إلى المنهج الأشعري. وعندما يعدم المراجع التي يعتمد عليها في تبرير هجماتها الإنتحارية؛ يلجأ إلى عدم «الجمود على ظاهر النصوص الشرعية»[65]. وكثيراً ما يتردد على ألسنة معارضي التنظيم أن التنظيم لا يملك أهل علم في الأمور الفقهية، بل يذهبون إلى أكثر من ذلك، ويقولون: إنه يكاد يشغل ''غير المتعلمين من البدو'' موضعاً الإفتاء في التنظيم. وهذا القسم سيتناول بعض مزاعم وأعمال التنظيم من الناحية الفقهية.

أ- دعوى دولة الخلافة: "مدينة داعش الفاضلة"!

إن تنظيم داعش الذي يتحرك انطلاقاً من مزاعمه بأنه الممثل الشرعي الوحيد لكل مسلمي العالم؛ أطلق على نفسه اسم ''الدولة الإسلامية'' تماشاً مع سياسته في هذا الاتجاه، وأعلن زعيم التنظيم نفسه خليفة، ثم خاض التنظيم عملية ترويج ودعاية مكثفة من أجل إثبات شرعية خلافة البغدادي وفق الأدبيات الإسلامية الكلاسيكية، ونشر عدداً من الكتب والكتيبات في هذا الصدد[66].

وتحمل الوثائق المذكورة نقولاً لآراء المؤلفين الذين أنضجوا مبدأ الإمامة السنية في العهد العباسي مثل الماوردي وأبو يعلى، وتزعم أن الشروط المذكورة في تلك المراجع متوفرة في البغدادي، وأن هيكل التنظيم الحالي يتطابق تماماً مع معايير الخلافة في هذه المصادر. في مقابل ذلك ترى التنظيمات الأخرى المشابهة والمعارضة لداعش استناداً إلى المراجع ذاتها أنه لا البغدادي ولا التنظيم الحالي مطابق مع المعايير المذكورة في تلك المراجع[67]، ولذلك يرون أن مزاعم التنظيم في الخلافة لا يستند إلى أساسٍ شرعيّ. كما أولى التنظيم مكانة كبيرة لشرط ''القرشية''[68] بين الشروط المذكورة في الخليفة، ونظّم شجرة نسبٍ تصل البغدادي بالرسول صلى الله عليه وسلم

65 القسطنطينية، 3/1436، ص 33.

66 عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام. أبو الزهراء الأثري، القول الصافي في صحة بيعة الشيخ سليل آل بيت النبوة أبي بكر القرشي الحسيني البغدادي ثم السامرّائي. تركي البِنْ عَلي، مدو أيديكم لبيعة البغدادي.

67 أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص 3.

68 تركي البِنْ عَلي، مدو أيديكم لبيعة البغدادي، ص 1.

من خلال سيدنا الحسين. لكن الدلائل القاطعة أثبتت عدم صحة هذه الشجرة المذكورة، وأنه تم تلفيقها من أجل السيطرة على الشباب[69].

ومع ذلك تصر داعش على مزاعمها، وتطالب كل المسلمين وخاصة التنظيمات الأخرى المشابهة؛ بالبيعة لها. وأعلنت في منشوراتها مبايعة بعض الجماعات المتطرفة المتواجدة في مناطق شمال إفريقية والقوقاز. ونشر التنظيم مزاعمه بضرورة مبايعة البغدادي من قبل عناصر الطالبان الذين بايعوا الملا عمر في حياته على شكل فتوى في منشوراتها. واستدلوا بأن بيعة ملا عمر كانت لإمارته على منطقة واحدة، وأن بيعة البغدادي عامةٌ باعتباره خليفةً للمسلمين جميعاً. إضافة أن النص المذكور يذكر أيضاً أن الملا عمر لا يحقق شرط الخليفة في وجوب كونه قرشياً، وأن البغدادي قرشيٌّ، بل من أهل البيت أيضاً[70].

هناك إجماع واسع بين الأمة على ضرورة تنصيب المسلمين حاكماً يضمن النظام العام ويطبق القانون والعدل. ويدور النقاش حول الأسباب الموجبة لهذه الضرورة؛ دينيةٌ أم عقلية؟. ويتناول علم الكلام الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الحاكم على شكل اختلافٍ بين أهل السنة الذين يشكلون الخط الرئيسي للأمة وبين فرق الخوارج والشيعية. ومقاربة أهل السنة في تعيين الحاكم باسم مسألة الإمامة أو الخلافة تحولت على يد مؤلفين في العهد العباسي كالماوردي — وإليهم يعود التنظيم بكثرة في هذا الموضوع – إلى نظام متكامل. وقد استند هؤلاء المؤلفون إلى التجارب التي مر بها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة، وإلى ظروف عهدهم، وتوصلوا من خلالها إلى نموذج للحكم. لكن هذا النموذج الذي لا ينسجم مع الواقع فقد فعاليته [قبل أن يجف حبره] في عهد العباسيين، وإلى ذلك تضمت هذه المؤلفات إشاراتٍ إلى ذلك أيضاً.

وفي هذا السياق يؤكد العلماء على أن النموذج الأمثل للخلافة لم يطبق سوى 30 عاماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[71]. وإن إدارة العالم الإسلامي بأسره من قبل حاكم واحد بقيت فكرة مثالية تحيى في الكتب وحدها، والخلافة حافظت على وجودها كعنوان حتى الربع الأول من القرن العشرين.

ومحاولة داعش في إحياء هذا النموذج الذي لا يمت للواقع بأية صلة؛ ناتجةٌ عن هدفها لحشد التأييد من التنظيمات المشابهة، وتوحيدها في بنيتها مستفيدةً من جاذبية تأكيد المراجعً على الخلافة والإمامة. ومجرد البحث بالتالي في مدى انطباق الدولة التي أعلنها التنظيم على الشروط المذكورة في المراجع؛ يعتبر تصرفاً لا معنى له.

وشرط القرشية في الخليفة الذي يطرحه داعش كمصدر لشرعيتها بمناسبة الشجرة المنظمة للبغدادي إنما تم التعبير عنه في زمن كانت فيه العصبة في المجتمع لقريش، ولا يلزم من ذلك بقاؤه في كل الأزمان[72]. كما نجد أن

69 صالح حسين الرقب، الدولة الإسلامية (داعش) ، ص 34—35. الهشامي، تحذير الطائش من ضلال داعش، ج 3، 296—305.

70 دابغ، 10/1436، ص 18—24.

71 التفتانازي، شرح العقائد، إسطنبول 1308، ص 181—182. ملا كستلي، حاشية على شرح العقائد، إسطنبول 1308، ص 182—183.

72 ابن خلدون، المقدمة، ص 194—196.

الكتب التي تناولت هذا الموضوع في الفترات اللاحقة الوسطى قد أسقطت هذا الشرط من كونه شرطاً ملزماً[73]. وقد أفاد العلماء بصحة الأعمال والتشريعات التي يقوم بها حاكم من غير قريش مثل تقليده القضاة وتعيينهم[74]. ونرى أن داعش تستخدم الأحاديث من قبيل: ''من مات وليس له إمام مات ميتة الجاهلية''[75] في سبيل توفير الدعم الديني لمدينته الفاضلة[76]. لكن العلماء الذين يأخذون بعين الاعتبار الواقع الاجتماعي والسياق التاريخي يأوّلون هذا الحديث بأن العرب في الجاهلية لم تكن لهم دولة تنظم شؤونهم وأمنهم العام، ومصير من لا ينتمي لبنيةٍ منظمةٍ كهذه أن يعيش في ظروف الحقبة الجاهلية، ويأتي الحديث بياناً لهذا الأمر[77].

يقوم داعش باقتباسات براغماتية من المراجع الكلاسيكية من أجل شرعنة إعلان خلافة البغدادي، وترى بأنه أصبح خليفةً ببيعة بعض الإداريين والنخبة الذين يعرفون باسم أهل الحل والعقد. ويستند في مشروعية سلطة البغدادي على الأراضي التي احتلها، ولم يبايعه أهلها إلى النقول التي ترى مشروعية (السلطان المتغلب)[78].

قامت تقييمات البيعة في أدبياتها على افتراض عيش المسلمين تحت حكم دولة واحدة. والتقييمات المتعلقة بالسلطان المتغلب نتاج المخاوف المتعلقة بالفوضى والاضطرابات في عهودٍ يستحيل فيها عيش المسلمين تحت دولةٍ واحدةٍ بشكلٍ عمليّ. واستيلاء شخصٍ على منطقة محددة، بقوةٍ مسلحة تُعَدُّ بعشرات الآلاف، وطلبه البيعةً من ملياراتٍ المسلمين وعطف ذلك على الشروط المذكورةً في أدبيات المراجع الكلاسيكية؛ موقف لا يمكن أخذه بمحمل الجد. ومزاعم البغدادي هذه ليس لها وزنٌ حتى في ميزان معايير الأدبيات الكلاسيكية. وهكذا نرى أن الغزالي يعتبر من يدّعي الخلافة دون الحصول على دعم معظم مسلمين في حكم المتمرد (الباغي)، وتطبق عليه العقوبات حتى يعود إلى الحق والصواب[79].

ومن التناقضات التي يقع فيها داعش في هذه المسألة هي اقتباسه نصوصاً تبطل مزاعمه تماماً من أجل دعم بعض نقاط أطروحته. فينقل عن محمد بن عبدالوهاب أن المسلمين لم يجتمعوا منذ ما قبل الإمام أحمد بن حنبل تحت رايةٍ واحدة، وبالتالي يمكن اعتبار شخص يدير بلدة أو عدة بلدات من بلاد المسلمين إماماً شرعيّاً[80]. وهذا الرأي الذي نقلوه بأنفسهم واستدلوا به يبطل بوضوح دعواهم بالخلافة على كل المسلمين. ومزاعم التنظيم ببطلان العبادات مثل الزكاة والصلاة والصوم والحج دونً وجود خليفة للمسلمين في سبيل التأكيد على أهمية

73 هيئة، الفتاوى الهندية، بيروت 1986، ج 3، ص 317.سيد بك، الخلافة والحاكمية الملية، أنقرة 1339. ص 20—23.

74 الطرطوسي، تحفة التُّرْكِ في ما يجب يُعْمَل في المُلْك، بيروت 1992، ص 63—65.

75 مسلم، الإمارة، 13.

76 عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، 39، 87.

77 ملاكستلي، حاشية على شرح العقائد، ص 181.

78 تركي البن علي، مدوا أيديكم لبيعة البغدادي، ص 4—5.

79 الغزالي، إحياء علوم الدين، إسطنبول 1985، ج 1، 120 — 121. كمال بن أبي شريف، كتاب المسامرة، ص 28.

80 تركي البن علي، مدوا أيديكم لبيعة البغدادي، ص 5. ومن أجل هذا النص انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج 9، ص 5.

الخلافة؛ تفتقر إلى أساس فقهيّ[81]. ومن أدلة بطلانه أن محمد بن عبدالوهاب الذي يعتمده داعش مرجعاً له يقدم رأياً مناقضاً تماماً في هذه المسألة[82]. وتجاهلهم لمثل هذا المرجع دليلٌ صريحٌ آخر على تجردهم من المبادئ، وتحريفهم للنصوص التي يعتمدون عليها.

ب- دار الإسلام ودار الحرب

يشير مصطلح دار الإسلام ودار الحرب إلى النظام الذي طوره الفقهاء المسلمون بهدف إضفاء معنىً على النظام الدولي يقوم على المعايير الإسلامية التي تشكل أرضية قواعد الحرب والسلم في عهد انبثاق فجر الإسلام وعالم القرون الوسطى المبكرة . وقد استخدم هذان المصطلحان في بيان العلاقات بين البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ضمن ظروف العالمية السائدة في تلك الفترة. فاستخدم مصطلح دار الإسلام للتعبير عن البلدان التي «تخضع لسيطرة المسلمين»، ومصطلح دار الحرب للتعبير عن البلاد التي «تخضع لسيطرة غير المسلمين». ثم تبدل النظام الدولي الذي أنتج هذين المصطلحين في عصور الإسلام الأولى تدريجياً مع الزمن، فظهرت مصطلحاتٌ جديدةٌ مثل دار الصلح ودار العهد ودار الموادعة ودار الذمة تعبيراً عن البلدان التي بينها وبين المسلمين عهودٌ واتفاقيات. فالتطورات الجديدة التي طرأت على العلاقات بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية على مستوى الحرب والسلم، وزيادة مساحات العيش المشترك بين المسلمين وغيرهم؛ تسببت بتغيير هذا الانقسام الثنائي، فبعد اجتياح المغول للبلدان الإسلامية على سبيل المثال انشغل علماء المسلمين ببيان تصنيف البلاد التي يهيمن عليها المغول سياسياً، لكن أهلها يطبقون معظم الأحكام الشرعية.

فجاءت الفتاوى التي أفتى بها فقهاء الأحناف حول مناطق خوارزم ووراء النهر[83] وفتوى ابن تيمية حول ماردين[84] انعكاساً للفترة العصيبة التي أشرنا إليها. والمحافظة على هذين المصطلحين [دار الإسلام ودار الحرب]، وقد فقدا وظيفتيهما في تشكيل العلاقات بين المجتمعات والدول اللاحقة لظهورهما إلى يومنا هذا دون تغييرهما وإعادة تقييمهما في إطار النظام العالمي الحديث، وتقسيم عالم اليوم إلى دار حربٍ ودار إسلامٍ كما تم تقسيمه في الفقه الكلاسيكي؛ عمل غير صائب. والفقهاء الباحثون في هذه المسألة اليوم يعربون عنٍ ضرورة تحديث المصطلحات المذكورة بعد الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الدولية والقانونية والتجارية والسياسية القائمة في يومنا هذا، والبنية السياسية للدول الإسلامية الحالية[85].

81 عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، ص 39. أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص 19.

82 الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج 9، ص 5.

83 البزازي، الفتاوى البزازية، بيروت 1986، ج 6، 311 - 312.

84 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، بيروت 1987، ج 3، 532–533.

85 أحمد أوزال، الإسلام والإرهاب، إسطنبول 2007، ص 79–80.

يقوم داعش الذي يزعم أنه الممثل الشرعي الوحيد للمسلمين تحت اسم ''الدولة الإسلامية'' معتمدةً على التضاد بين دار الإسلام ودار الحرب بدعوة جميع المسلمين للهجرة إلى المكان الوحيد الذي يطبق فيه شرع الله في العالم، وأرض الخلافة المزعومة التي يسيطر عليها. ويعتبر من لم يهاجر إلى أرض الإسلام بلا عذر، ويبقى في أرض الشرك آثماً. ويلوم الذين هربوا من دولة الإسلام، ولجئوا إلى المخيمات الموجودة في مختلف البلدان لأنهم اختاروا حياة الذل. ويرى داعش – الذي يزعم بأن الأراضي العراقية باتت دار حرب لاحتلالها من قبل المرتدين – أن حدود دار الحرب ستضيق كلما توطّد حكم «الدولة الإسلامية»[86]. وهكذا نرى أن داعش يعتبر حدود دار الإسلام مقتصرةً على الأراضي التي يسيطر عليها، ويستغل هذا المصطلح الفقهي لإحكام استراتيجيته.

ج – تلويث مفهوم الجهاد.

الجهاد مصطلح إسلامي يستعمل في بذل الشخص وسعه في قتال العدو. والجهاد كما يحمل معنى قتال العدو الخارجي الذي هو في حالة الحرب مع بلاد الإسلام والمسلمين ابتداءً؛ يعني أيضاً مجاهدة النفس والشيطان بالابتعاد عن المعاصي. ويشمل ذلك كله قول الله تعالى: ''وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» (الحج: 78). وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بيانٌ وتفصيلٌ لتلك المعاني[87]. وبالتالي يدخل تربية النفس وتحصيل العلم والدعوة لدين الله وتقديم النصح للحاكم الظالم، وتحذيره، وغير ذلك إلى جانب قتال العدو في معنى الجهاد.

وداعش، رغم أنه يقر بهذه المعاني الواسعة للجهاد؛ يمنح الأولوية لقتال العدو الذي يسميه ''جهاد القتال''، وتدرج في صنف العدو كل الجماعات المعارضة لها؛ مسلمة أو غير مسلمة على حدّ سواء. وعنده أن من قعد في بلاد المشركين بعد إعلان الدولة الإسلامية والخلافة آثمون حتى لو زعموا أنهم يمارسون جهاد الدعوة بدعوة الناس إلى دين الإسلام، ويوسوس لهم الشيطان بأنهم يؤدون فريضة الجهاد بالدعوة للإسلام وتقديم الدعم المالي للمجاهدين وتربية النفس وتحصيل العلم. ورغم أن كل هذه الأمور داخلٌ في إطار الجهاد؛ فإن كل قادرٍ يترك جهاد القتال متعللاً بأنواع الجهاد الأخرى آثم تاركٌ لفريضة الجهاد. وحسب داعش: ''لم يتم القضاء على الشرك من جذوره من وجه الأرض، ولم يسد التوحيد في العالم بالدعوة في الماضي، ولن يكون بالدعوة في الحاضر. فجهاد الدعوة يكون حتى قيام الدولة. ثم يأتي بعده فتح البلدان بالقتال، ثم يدعى أهلها إلى الإسلام. فقد انتشر التوحيد في الأصل بالحروب والقتال. وينبغي على من لم يهاجر اليوم، وبقي مقيماً في ديار الكفر، ولم يهاجر إلى دولة الإسلام، ويزعم أنه داعية؛ أن يعلم أنه آثمٌ ومبتدعٌ لأنه هجر سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بتركه جهاد القتال''[88]. وهكذا يجب على من يريد الجهاد الدخول في أمر ''الدولة الإسلامية''، وتنفيذ جميع المهمات الموكلة إليه. فإن أسندت إليه مهمة جهاد الدعوة لتدريب المشاركين الجدد في التنظيم؛ تسقط عنه فريضة جهاد

86 عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، ص 64.

87 راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكة، بدون تاريخ، ج 1، 132. الترمذي، فضائل الجهاد، 2. أبو داود، الجهاد، 17.

88 القسطنطينية، 3/1436، ص 30.

القتال، بل ينال ثواب الجهادين معاً[89]. وهكذا نرى أن الطريقة الوحيدة للقيام بفريضة الجهاد الذي هو مصطلحٌ قرآنيٌّ حسب داعش تكمن في الانضواء في لواء التنظيم، والمشاركة الفعالة في عملياته.

يتجلى بوضوح أن كل هذه المزاعم تستند إلى افتراض داعش أنه الإدارة الشرعية الوحيدة التي تمثل المسلمين. وبهذه الخاصية تضع نفسها في مقام أول دولة إسلامية أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، والتي تطورت واتسعت في عهد الخلفاء الراشدين. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر بنفسه في بعض أحاديثه أن الخلافة مقصورة على عهد الخلفاء الراشدين، وقد تبدلت المفاهيم والتطبيقات السياسية لدى المسلمين في العهود اللاحقة، ولم يجتمع المسلمون بعد ذلك تحت مظلة سياسية موحدة بعد ذلك أبداً. وعلماء المسلمين رغم أنهم اتخذوا المعايير الإسلامية التي تبلورت في عصر السعادة وتطبيقات الخلفاء الراشدين؛ فإنهم لم يحولوها إلى مزاعم لجمع المسلمين تحت راية واحدة أبداً. وفي هذا السياق لم يسند العلماء المسلمون لأي دولة إسلامية دون غيرها دور الممثل الوحيد للمسلمين، ولم تضع أي دولة إسلامية نفسها بهذا الموضع.

إن الشروط والظروف المتغيرة تقتضي إعادة تأويل بعض المبادئ الإسلامية حسب الزمان والمكان. والقاعدة الكلية التي تنص على أنه:»لا يمكن إنكار تغيير الأحكام مع تغيير الأزمان» في الفقه الإسلامي؛ مبدأٌ مهمٌ يتناول تغير الأحكام المرتبطة بالأعراف وشروط الزمان والمكان. فالسياسة والنظام العالمي هي ساحة تحددها الأعراف والشروط، وعلاقات الدول الإسلامية مع الدول غير الإسلامية على وجه الخصوص بشكل يتماشى مع مبدأ المقابلة بالمثل الذي تبلور بتطبيق سيدنا عمر رضي الله عنه، ويبقى تصنيف البلدان إلى دار الإسلام ودار الحرب في مثل هذا العالم الذي أصبحت فيه عملية السلام جزءاً لا يتجزأ من النظام العالمي بلا معنى. علاوة على أن هذا النظام العالمي قدم للمسلمين فرصةً لم يسبق لها مثيلٌ في التاريخ لشرح الرسالة العالمية للإسلام للبشرية كلها، وإيصال القيم السامية للإسلام إلى قلوب وحياة الناس أجمعين. وحركة الشدة والإرهاب هذه التي تعكس الرسالة العالمية الإسلامية كخطر يتربص بالناس، في وقت بات للمسلمين فيه فرصةٌ كبيرةٌ للدعوة ومناهضة عدم المساواة والظلم والأخطاء، وفرصةٌ كبيرةٌ لإكساب البشرية وعي العبودية لله من جديد بفضل مبدأ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» الذي هو أساس مصطلح الجهاد؛ نعم هذه الحركة لا تطبق الجهاد، بل تشكل أكبر عائق أمام حركة الجهاد. فإذا كان الهدف الرئيسي للجهاد هو بث الإسلام في صدور الناس، والعمل على إعلاء الرسالة الإلهية والوعي الديني في الأرض؛ فإن دعوةً تقوم على الإكراه والاستبداد لن تخدم هذا الهدف أبداً.

بقي أنه لا يمكن من الناحية الإسلامية تسمية الهجمات التي تستهدف جماعةً من المسلمين جهاداً، ولا يجوز قتل الأشخاص الذين تم أسرهم أثناء القتال، أو الذين لم يشاركوا في القتال، والرسل والصحفيين الذين هم بمثابة رسل. ويبدو جلياً أن داعش عند قيامه بالأعمال المسلحة التي لا يمكن القبول بشرعيتها، وانتهاكاته الكثيرة للحرمات، واعتداءاته الكثيرة على الحقوق باسم الجهاد؛ استغل مصطلحاً إسلاميّاً مثل الجهاد في سبيل خدمة مصلحة التنظيم. والنقطة الرئيسية المؤسفة في هذا السياق هي تحويل كتاب أنزل على رسول أرسل رحمة للعالمين وأحاديثه وأفعاله إلى أداة لتبرير الأفعال الإرهابية لإحدى التنظيمات.

89 القسطنطينية، 3/1436، ص 28.

د- الاستشهاد: العملية العصرية التي تحط من مقام الشهادة

يرى داعش أن الهجمات الانتحارية المعروفة بالعمليات الاستشهادية في أدبيات المنظمات الثورية السلفية الراديكالية تدخل ضمن الأعمال الفضيلة التي يجوز فعلها. كما تناول هذا الموضوع باستمرارٍ في منشوراته[90] . ونشر كذلك كتيّباً مستقلاً في هذا الخصوص[91]. وحتى يجعل لهذا العمل أسساً وقواعد اقتبس مسائل كثيرة من أدبيات الفقه، لكن هذه المسائل المقتبَسة ذات صلة بأحكام الهجوم على الأعداء الذين يفوقونها قوةً حتى لو كان احتمال موتهم في الحرب عالياً.

هذه المسألة التي نتحدث عنها أجازها كثير من العلماء أثناء الحرب على اعتبار أن هذا العمل يمكنه أن يكون منبعاً لإثارة الحماس لدى المسلمين كما هو وارد في الفقه الكلاسيكي[92]. أي أن هذا الجواز يكون موضوع الحديث عندما تتم هذه العمليات فعلياً ضد الأعداء أثناء الحرب. أما اليوم فحال العمل المعروف بالاستشهاد مختلفٌ جداً. فداعش الذي يدرك أن العمليات التي تتم اليوم لا تتطابق بالكامل مع المسائل المتناولة في الأدبيات؛ يرى بأن الانكباب والتركيز على ظاهر المسائل عبثٌ، وأن العمليات الاستشهادية لا تختلف عن المسائل التي يجيزها علماء العصر الكلاسيكي من حيث الأهداف والدوافع وإن كانتا لا تتشابهان من الناحية الشكلية.

يتبنى داعش العمليات الاستشهادية هذه لأنها في الحقيقة تخدم استراتيجيته في الامتداد والتوسع. فهو الذي يقول: "العمليات الاستشهادية هي التي فتحت معظم أبواب الفتح الذي قامت به الدولة الإسلامية. والدولة الوحيدة في العالم التي لديها هذه الميزة التي لم يرى لها مثيل في العالم هي الدولة الإسلامية. هناك آلاف من أسود الخلافة ينتظرون دورهم للقيام بهذه العملية سواء في الدولة الإسلامية أو في بلدان أخرى"[93].

وإحدى المبادئ الأساسية للدين الإسلامي هي حفظ النفس. وعند الأخذ بالحسبان الآيات الكريمة[94] في هذا السياق يتبين أن لا يحق لإنسان أن يقتل أحداً دون وجود ذرائع مشروعة وحقوقية. بنفس الشكل لا يمكن للإنسان أن يقتل نفسه التي استودعها الله عنده. لا يكون مبدأ حصانة حق الحياة مرناً إلا في حالات الحرب أو عقوبة الإعدام التي يحكم بها الحاكم. وهناك أسس وقواعد معينة حول الشروط والأحوال التي تكون فيها الحرب مشروعةً والأعمال التي يمكن القيام بها أثناء الحرب.

90 القسطنطينية، 3/ 1436، ص 23-44.

91 أبو الحسن الفلسطيني، ردود وتلمحيات على منكري العمليات.
https://ia601007.us.archive.org/2/items/hmm-rdd/rdd.pdf

92 السرخسي، شرح السير الكبير، بيروت 1997، ج 1، 115. الجصاص، أحكام القرآن، بيروت 1992، ج 1، 327-328.

93 القسطنطينية، 3/ 1436، ص 43.

94 الإسراء، 17/ 33. النساء، 4/ 33. البقرة، 2/ 195

هناك آيات قرآنية توضح الذين يجوز محاربتهم وقتالهم نذكر منها: ''وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ'' (البقرة، 2/ 190) و''لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ'' (الممتحنة، 60/ 8-9). عند دراسة المسألة في ضوء هذه النصوص يتبين أنه من غير الممكن تقييم العمليات التي تودي بحياة الأطفال والنساء والمسلمين الأبرياء على أنها ''استشهاد'' واعتبارها عملاً مشروعاً[95].

كما لا يجوز القيام بهذا النوع من الهجمات في البلدان التي يقطنها غير المسلمين. والمسلم الذي يقيم بصورة مؤقتة في بلد غير مسلم عليه أن يتجنب الحركات العدائية والتصرفات التي تخل بالمعاهدة التي قام بها حتى لو كانت الحرب قائمةً بين بلده والبلد الذي يعيش فيه[96]. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حرّم على المسلمين قتل النساء والأطفال والشيوخ والذين لم يقاتلوهم حتى في الحرب. أما المبدأ الأساسي في ذلك فهو حصانة حياة الإنسان. لا يمكن تعليق هذا المبدأ إلا في حالات الحرب المحتدمة والساخنة. وهذا المبدأ الأساسي يسري أيضاً على النساء والأطفال وعلى غير المشاركين في الحرب وعلى المدنيين الذين لم يعد العدة للحرب[97]. إن ممارسة الظلم على المسلمين في شتى بقاع العالم وانتهاك أبسط حقوقهم لا يمكنه أن يكون ذريعةً للعمليات التي تودي بحياة الأبرياء الذين لم يشتركوا فعلاً في هذا الظلم.

وفي أثناء حرب البوسنة لم يسمح علي عزت بيغوفيتش بالرد بالمثل على انتهاك حقوق المسلمين. فهذه الكلمات التي قالها عزت فبيغوفيتش تسلط الضوء على لب الموضوع:

''ترون أن الله تعالى قد ابتلانا بمحنة صعبة. فرجالنا يُذبحون ونساؤنا وأطفالنا يُقتلون وجوامعنا تُدمّر، أما نحن فلا نريد أن نقتل نساءهم وأطفالهم ولا نريد أن نهدم وندمر كنائسهم. لا نريد فعل هذا لأنه ليس طرازنا وإن كان هناك بعض الحالات الاستثنائية. أرى هناك بعض العساكر والجنود، أنتهز هذه الفرصة لأقول لهم هذه الرسالة التي يجب أن نوصلها للجميع: سوف نحقق النصر لأننا نحترم الدين الآخر والقوم الآخر والموقف السياسي الآخر؛ لأننا نريد أن نكون دولة ديمقراطية في هذا الزمن الصعب؛ لأننا أناس حكماء ومخلصين. في الحقيقة حرّم علينا بشكل لا ريب فيه أن نلحق الخراب بالأشياء المقدسة. مع أن الأتراك حكموا صربيا أربعة عصور إلا أن دير الديجاني وغراجنيجا وسبوجاني ما زال شامخاً بفضل هذه التحريم. لم يدمر الأتراك هذه الأديرة لأن الكتاب الذي نؤمن به يحرم ذلك''[98].

95 لجنة علماء، الإسلام بالأسئلة، ص 146-150.

96 محمد حامد الله، إدارة الدولة في الإسلام، المترجم: كمال قوشجو، أنقرة، بدون تاريخ، ص 207-208.

97 ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، بيروت، بدون تاريخ، ج 4، ص 236.

98 عزت علي بيغوفيتش، أقوال، المترجم: فاطمة نور ألتون-رفعت أحمد أوغلو، إسطنبول 2007، ص 25-26.

وهكذا يتبين أن داعش قد شوه مفهوم الجهاد بحيث جعله شبيهاً بما يعرف بالإرهاب في العصر الحديث. غير أن الخطابات التي تقول: إن الإرهاب هو سلاح المظلومين، وأن هناك ظالمون يعتدون على كافة حقوق المظلومين المشروعة، ويدفعونهم إلى هذا الطريق؛ ما هي إلا نقاشاتٌ طورتها المنظمات الإرهابية لتبرئة عملياتهم الإرهابية. في هذا الصدد يجب على المسلمين أن يتأملوا في هذه الآيات الكريمة حتى يحددوا موقفهم: ''يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ'' (المائدة، 5/ 8) و''وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ'' (الشورى، 42/ 40). وبالتالي لا الهجمات الوحشية التي تغرق بلدنا دماً و لا الجنايات التي تتم في أي مكان بالعالم يمكن اعتبارها ''استشهاداً''.

هـ- "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"

هذه العبارة التي قالها سيدنا عمر إنذاراً لولاته يجب على المسلمين جميعاً أن يقولوها في وجه داعش. فالإنسان في الإسلام يجب أن يكون حراً. لكن البشرية اعتادت الاسترقاق على مر التاريخ، وشرعنته باعتباره إحدى نتائج الحروب التي لا ترحم. ربما لم يلغ الفقه الإسلامي نظام الرق في إطار قانون التبادل الدولي خلافاً للقرآن الذي لم يرد فيه آية تمنع استرقاق البشر.

بل حث الإسلام بدلاً من ذلك على فك الرقبة عبر وسائل متعددة، وقضى بتخصيص مال من إيرادات الدولة لفك الرقبة، وجعل فك الرقبة كفارة بعض المنكرات والمعاصي حرصاً منه على تخفيف حالات الرق إلى أدنى مستوياته في المجتمع. يعتبر فقهاء المسلمين الاسترقاق ترتيباً يتعلق بالأسرى والسبب في ذلك أنهم يرونه من مخلفات الحرب في تلك الفترات. لهذا السبب اقتصر مصدر الرق في الإسلام على أسرى الحرب فقط، وحث الإسلام على إطلاق سراح الأسرى بفدية أو بغير فدية بدلاً من استرقاقهم (محمد، 47/ 4). أما استرقاق الإنسان الحر فقد تم ذمه بشكل حازم في النصوص.

وقد حثت التعاليم الإسلامية على معاملة الرق معاملةً في غاية الإنسانية كما يبين ذلك باحثون غربيون درسوا موضوع الاستعباد. فالمسلمون لم يعاملوا عبيدهم بفظاظة وغلظة كما كان هو الحال في العالم الغربي، واعتبروهم واحداً من أفراد الأسرة. فانخرط العبيد في حياة المجتمع، ولم يسمح بتصنيفهم أو إسكانهم في غيتوات منعزلة عن بقية طبقات المجتمع. وعندما بلغت الإنسانية المستوى الذي يلغي الاستعباد تبنت المجتمعات المسلمة التطورات الموجودة في هذا الخصوص.

فسنّ السلاطين العثمانيون الذين كانوا أعظم رجالات الدولة الإسلامية حينها القوانين المتعلقة بإلغاء الاسترقاق. يقول محمد أسعد أفندي وهو أحد رجال الفقه في أواخر العهد العثماني: ''عندما تبين أن حاكم البلدة قد اشترى بالمزايدة رقيقاً قبل بضعة أعوام عزله باب المشيخة، وأبعده من ولاية البلدة، مؤدياً وظيفته

الشرعية، لأن تعيين حاكم محروم من العرفان لدرجة أنه لا يمكنه أن يقدر أن الاسترقاق غير موجود اليوم في الطريقة التي تعرفها الشريعةُ الإسلامية؛ إهانةٌ للشريعة''[99] مؤكداً بذلك على القوانين التي تم سنّها والحساسية والعناية التي أظهرتها مشيخة الإسلام التي كانت تتابع هذا الأمر.

وما تم اليوم من إلغاء مؤسسة الرق يتوافق وأهداف الإسلام الأساسية. وبالتالي فإن وضع أسرى الحرب موضع العبيد ليس موضوع الحديث. في هذه الحال لا يمكن بأي شكلٍ من الأشكال اعتبار الممارسة الجنسية مع النساء الأسرى مشروعاً حسب الأحكام الإسلامية[100]. بل على العكس يعتبر فاحشة وزنى.

وداعش الذي لا يكترث بالمقاصد والأهداف العامة للدين الإسلامي فيما يتعلق بهذا الموضوع، ولا يعير أهمية للسياق التاريخي والاجتماعي للنصوص؛ يمارس الضغوط على المجتمع اليزيدي الذي ليس له علاقة بالحرب لا من قريب ولا من بعيد، ويستعبد الأسرى من نساء هذا المجتمع، ويوزع الجاريات على مليشياتها، ويبني أسواقاً لبيعهن، ويقدم فعلته هذه على أنها من ''أحكام الشريعة المعطلة التي لا يتم تطبيقها''. ويقول داعش في وثائقياتها وهو يفتخر بهذه المعاملة غير الإنسانية:

''ها نحن اليوم هنا نعمل على إحياء السنة النبوية التي دفنها أعداء الله من العرب والعجم بعد مئات السنين. والله لقد استرجعناها بحد السيف ولم نفعلها بالسلم أو المفاوضات أو الديمقراطية أو الانتخابات. فعلناها حسب المنهج النبوي بالسيوف المصبوغة بالدماء، لا بالأصابع التي تقترع أو ترسل التغريدات''[101].

كما أعد تنظيم داعش بروشوراً يضم معلومات جمعها من الكتب الفقهية التي تتناول تطبيق الاسترقاق في الحقبة التي كان فيها سارياً[102]، ويقدم معلومات الممارسات المتعلقة بالجاريات في اثنين وثلاثين سؤالا. ويزعم تنظيم داعش أنه سيقيم أسواقاً لبيع الرق رغم كل العراقيل والمعوقات، وأنه سيبيع في هذه الأسواق زوجات بعض قادة الدول الغربية[103]، ويريد أن يحول هذه الممارسات إلى أداةٍ يتحدى بها القوى العالمية.

بما أن الاسترقاق لم يعد موجوداً في يومنا والناس كلهم بما فيهم المسلمون متفقون في هذا الموضوع فإن ما يفعله داعش ليس سوى استعباد قسري. وقد ورد في حديث رسول الله (ص): «قَالَ اللهُ: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ... وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ»[104]. إن ما يفعله داعش موقفٌ يتطابق مع فهم ''الغنيمة'' الذي تبنته

99 محمد أسعد بن أمين سيدي شهري، الحقوق التاريخية والعلمية/ Târih-i İlm-i Hukuk، إسطنبول 1331، ص 234 (حاشية: 1).

100 أحمد أوزل، أسير، الموسوعة الإسلامية للشؤون الدينية، ج 11، 385.

101 دابق، 9/ 1436، ص 47.

102 سؤال وجواب في السبي والرقاب، دار البحوث والإفتاء، 1436.
https://ia902703.us.archive.org/4/items/Reqap03/Reqap_03.pdf

103 دابق، 9/ 1436، ص 49.

104 البخاري، البيوع، 106، الإجارة، 10.

الأذهان القبلية في العصر الجاهلي الذي لم يفهم أهداف الإسلام ومقاصده. فضلاً عن أن استعمال داعش لهذا التطبيق وسيلةً لجذب المقاتلين من الأصول الأجنبية والفتيان من العالم الإسلامي إلى المنظمة أحد أوضح الأمثلة التي تبين أن التنظيم لديه فهم ديني شائب مأزوم[105].

و- أدوات داعش المثيرة للرعب: قطع الأعناق والتعذيب والإبادة الجماعية

يعمد داعش إلى تعذيب من يوقع في يديه من الرهائن مستعملاً أساليب تبث الخوف والرعب في النفوس، ويهدف في ذلك إلى القمع والإخضاع والدعاية. فهو يقوم بهذه الممارسات وهو في وعيه، ويسجل مقاطع التعذيب وقطع الرؤوس وينشره للعالم كله عبر وسائط التواصل الاجتماعي أو عبر وسائله الإعلامية الخاصة. وتستند استراتيجية التنظيم هذه على خيار مخطط. فالمجتمعات المعاصرة —إن جاز التعبير- مجتمعات معقمة من العنف لأن الناس فيها لا يرون القتل والدماء بأم أعينهم. فيركز داعش على هذه النقطة تحديداً، ويبث مشاعر الخوف والرعب في نفوس الناس عبر نشر مقاطع فيديو تعرض قطع الرؤوس والأعناق. كما نشر كتيّباً خاصاً يدافع فيه عن مشروعية هذه العمليات الإرهابية[106].

يزعم تنظيم داعش في هذا الكتيّب أن الناس ينتقدونه وينتقدون قطعه للرؤوس متجاهلين ما تقوم به أمريكة وإسرائيل ظلماً وطغياناً، ويشتكي من تنشئة أجيالٍ لا علم لها بالقتل وقطع الرؤوس نظراً لتفريغ الإسلام من محتواه[107].

فالتنظيم لا يرى أن قطع رؤوس الكفار أمر يقبّح وجه الإسلام، بل مساعي الذين يعملون على تحويل هذا الدين إلى نظامٍ فكري شبيه بتعاليم مانديلا وغاندي اللاعنفية الخالية من القتل وقطع الرؤوس وسفك الدماء. وما يحاولون ترسيخه من فهمٍ ليس له علاقة بدين محمد الذي بعث بالسيف بين يدي الساعة. ويرى داعش: ''أن الإسلام دين القوة والقتّال والجهاد وقطع الرؤوس والأعناق وسفك الدماء. والإسلام ليس الدين الذي يستسلم وينهزم أمام من يعترض طريقه. بل الإسلام على خلاف ذلك هو الدين الذي يكسر كل يدٍ تمتدّ لإذلال المسلمين''[108].

105 صالح حسين الرقب ، الدولة الإسلامية (داعش)، ص 162.

106 حسين بن محمود، مسألة قطع الرؤوس (جائزة بنص القرآن والسنة وفعل الصحابة)، 1436/2014.

107 حسين بن محمود، مسألة قطع الرؤوس، ص 4-5.

108 حسين بن محمود، مسألة قطع الرؤوس، ص 17.

ويستدل في قطع الرؤوس بقول الله تعالى: ''فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ'' (محمد 47/ 4)، وببعض ممارسات رسول الله (ص) وأصحابه. يقول المفسرون[109] إن عبارة « فَضَرْبَ الرِّقَابِ» تعبير مجازي يشير إلى قتل العدو أثناء الحروب الساخنة لكن داعش فهم هذه العبارة بمعناها الحرفي، فانتزع آيات القرآن من سياقها واستعملها بتحريف يوصوله إلى مبتغاه. والأمثلة المذكورة حول الممارسات الموجودة في الروايات فقد تم استعمال أخف الوسائل ألماً في تلك الفترة في تنفيذ عقوبة القتل. لكن تطبيق داعش هو قتل الأبرياء كأنما يقطع رقاب الحيوانات.

وواضح أن هذا التطبيق ليس إسلامياً ولا إنسانياً. وأول من استعمل وسيلة القتل هذه في تاريخ الإسلام هم الخوارج حيث قتلوا عبد الله ابن الصحابي الجليل خباب بن الأرت بضرب عنقه[110]. هذا هو الخط الذي يسير عليه داعش في أعماله الرامية إلى القمع والإخضاع. وفيما يتعلق بالطيار الأردني الذي قتله حرقاً، فقد قالت أجهزة إعلامه إنه فعل ذلك من باب القصاص استناداً على المصلحة[111]. والأمر الذي يسميه داعش مصلحةً هو مدى مساهمة هذا العمل في الصورة التي يريد داعش ترسيخها. أما ما يرتكبه داعش من إبادة جماعية للشرائح التي تعارضه أياً كان دينها فضلاً عن التعذيب الإفرادي فهي بحد ذاتها جريمة إنسانية لا يرضاها الإسلام أبداً.

فالإسلام يحرم تعذيب النفس وقتلها دون سبب. لهذا السبب لم يسمح رسول الله الذي أرسل رحمةً للعالمين باستعمال الحيوانات الحية هدفاً في تعليم الرمي وأمر بالإحسان عند ذبحها. كذلك يحرم الإسلام تعذيب أسرى الحرب وقطع أعضاء الموتى من جنود الأعداء (المُثلَة). أما عقوبة القصاص فكانت تتم باستعمال السيف كونه أخف الوسائل ألماً في تلك الحقبة، وأجيز القصاص حتى بالقاتل بنفس الأسلوب إذا ما تم حرق المقتول لأن الهدف هنا ليس تعذيب المجرم بل تنفيذ العقوبة ضمن المعايير القانونية[112].

ز- مثال آخر عن تحريفات داعش: الحط من شأن الإسلام إلى العقوبات البدنية

يزعم داعش أنه الممثل الشرعي الوحيد لكافة المسلمين متخذاً من تطبيقه لعقوبات الحدود دليلاً على شرعيته. ويستعمل هذه النقطة وسيلةً دعائيةً ضد أتباع الجماعات الأخرى لا سيما التي تقاتله، وتدعوهم لمغادرة جماعاتهم والانضمام إلى ''الدولة الإسلامية''. فإن لم يلبوا هذه الدعوة وفضلوا القتال مع ''الدولة الإسلامية'' فسيبقون على حد قول داعش وجهاً لوجهٍ مع خطر الخروج عن الدين دون إدراك:

109 كمثال انظر: ركن المعاني،ج 13، ص196.

110 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 49.

111 دابق، 7/ 1436، ص 7.

112 عمر نصوحي بيلمان، قاموس الحقوق الإسلامية والاصطلاحات الفقهية، إسطنبول 1950، ج 3، ص 103.

"بنفس الشكل نجدد دعوتنا للجماعات الموجودة في الشام وليبيا. ندعوهم للتفكير أولاً قبل أن يخوضوا قتالاً مع الدولة الإسلامية التي تحكم بحكم الله تعالى. أيها المغترون! قبل أن تقاتلوا الدولة الإسلامية تذكروا أنه لا وجود لمكان على سطح الأرض يحكم بحكم الله غير أراضي الدولة الإسلامية. تذكروا لو أنكم أخذتم شبراً أو قرية أو مدينة من هذه الأراضي فإن قوانين الله هناك سوف تتحول إلى قوانين من صنع البشر وأسألوا حينها أنفسكم هذا السؤال: ما حكم من يلغي أحكام الله ويأتي بأحكام البشر أو يكون سبباً في إتيانها؟ نعم تكونوا بذلك قد كفرتم. حذار ثم حذار! إذا قاتلتم الدولة الإسلامية تكونون قد كفرتم عن علمٍ أو بدون علم"[113].

ويعزو داعش أسباب نجاحه إلى ما يفعله من رجم للزاني وقتل الساحر وقطع يد السارق وجلد لشارب الخمر[114]. ويعرض عمليات الإعدام التي ينفذها في مقاطع فيديو ينشرها عبر وسائل الإعلام المرئي.

وعقوبات الحدود هي عقوبات بدنية ثقيلة تهدف إلى تحقيق غايات معينة. عقوبات الحدود عقوبات رادعة الهدف منها تحقيق مصالح محددة على حد رأي السرخسي الذي يرى أن العقوبات المطبقة في العالم هي عقوبات ذات مضمون مجتمعي شرّعت من أجل مصلحة البشر. فالهدف من عقوبة القصاص حماية حق الحياة، والهدف من عقوبة الزنا حماية شرف الأسرة والحفاظ على النسل، والهدف من عقوبة السرقة حفظ أمن المال، والهدف من عقوبة الافتراء حماية شرف الإنسان وكرامته، والهدف من عقوبة السُّكْر حماية العقل[115]. وبما أن عقوبات الحدود عقوبات ثقيلة فقد تم فرض شروط ثقيلة جداً لإثبات الإثم، وتقييم كل الشكوك لصالح المتهم.

يستند هذا الموقف إلى أحاديث[116] رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يقضي فيها بدر الحدود بالشبهات، وأن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة[117]. ويذهب بعض الفقهاء إلى أن التوبة النصوحة من شأنها أن تسقط عقوبة الحدود وذلك انطلاقاً من الآية ال34 من سورة المائدة. كما تشير هذه الأدلة إلى أن تطبيق عقوبة الحدود بذاتها ليس هدفاً، بل وسيلة. الهدف الأساسي من تطبيق عقوبة الحدود ليس معاقبة الآثم، بل ردعه وحمله على أن يدرك أن هذا الفعل منكرٌ، والعمل على إصلاحه وتحسين حاله.

إن الشروع في العمل بدءاً من تطبيق العقوبات قبل سن القوانين التي من شأنها أن تحول دون وقوع الجرائم في المجتمع سوف يؤدي إلى نتائج لا تناسب مقاصد الدين. يوجد في هذا الصدد قاعدة فقهية لا يمكن تجاهلها ألا وهي: "أن الحكم الذي يكون مشروعاً من أجل استحصال الفائدة المرجوة يكون باطلاً إذا استلزم عند تطبيقه ما يخالف تلك الفائدة"[118]. وسيدنا عمر رضي الله عنه لم يطبق عقوبة قطع يد السارق في سنوات

113 القسطنطينية، 2/ 1436، ص 38.

114 القسطنطينية، 1/ 1436، ص 17.

115 السرخسي، المبسوط، ج 10، ص 110.

116 الترمذي ، الحدود، 2.

117 ابن الهمام، فتح القدير، ج 4، ص 116.

118 كرلاني، الكفاية، بيروت، ج 2، ص 202. سيد بك، المدخل، إسطنبول 1333، ص 17.

العجاف والقلة والندرة. بنفس الشكل لم يقطع يد العبيد الذين سرقوا إبلاً لأنهم ظلوا جياعاً دون طعام وأمرهم بدفع مثلي ثمن الإبل إلى صاحبه[119]. أما الدوافع التي جعلته يتوصل إلى هذه النتيجة فهي أنه فسر هذه الحادثة في ضوء الآيات القرآنية والأدلة الأخرى والمقاصد العامة للدين.

إن استلزام وجود شروط في غاية الشدة لإثبات ارتكاب الإثم الذي يستدعي عقوبة الحد في أدبيات الفقه فرض قيوداً على إمكانية تطبيق هذه العقوبات على مر التاريخ. ويشير العلماء إلى أن عقوبة الرجم ظلت خارج التطبيق منذ عصور الإسلام الأولى[120]. انتشر تطبيق عقوبات أخرى على الجرائم بذريعة عدم توفر الشروط اللازمة نظراً لحدة الشروط الواردة في كتب الفقه وإعطاء دور مصيري للشبهات في إثبات الجرائم التي تتطلب تطبيق عقوبة الحدود وما شابه ذلك من أسباب أخرى. هذه العقوبات الأخرى التي تدخل في باب التعذير صارت على شكل قوانين في الدولة العثمانية التي تطبق الشريعة الإسلامية وصادق علماء المسلمين على أن هذه القوانين تناسب الإسلام. يمكن رؤية هذا النهج في قوانين الجزاء التي تسري اليوم في أفغانستان[121].

في ضوء هذه البيانات لا يمكن القول إن ما يدعيه داعش من تطبيق لعقوبات الحدود وضعٌ يتوافق ومبادئ الفقه الإسلامي. بل من الواضح جداً أن هدفه ليس تطبيق الإسلام، وإنما استعمال هذه العقوبات وسيلةً وأداةً للقمع والإخضاع من أجل بسط نفوذه. فيقوم بتطبيق هذه العقوبات في المناطق التي تريد قمع أهاليها لإحكام سيطرته وترسيخ نفوذه ويتهم الأشخاص الذين سيعاقبهم بأنهم ارتكبوا جرائم تستوجب عقوبة الحدود، ويجعلهم يقرون ويعترفون بهذه الجرائم تحت وطأة التعذيب والاضطهاد[122].

119 الموطأ، العقيدة، 28. الزرقاني، شرح الموطأ، مصر 1310، ج 3، ص 212.

120 ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، بيروت 1985، ص 10.

121 مختار خان خوجه امير، تحويل فقه الجزاء الإسلامي إلى قوانين في أفغانستان، جامعة نجم الدين أربكان، معهد العلوم الاجتماعية، قونية 2015، ص 161–284 (أطروحة دكتوراة لم يتم نشرها).

122 صالح حسين الرقب ، الدولة الإسلامية (داعش)، ص 59، 146–155.

٤- المتضررون من داعش

إن الممارسات التي يقوم بها داعش وهو يزعم بأنه الدولة الإسلامية؛ ألحقت الضرر بالعديد من الأشخاص والمجموعات وفي مقدمتهم الدين الإسلامي بذاته والمسلمون.

أ- الدين الإسلامي والمسلمون

إن الأعمال التي يقوم بها داعش ألحق الضرر أولاً بالدين الإسلامي ذاته. فالرسالة الأخيرة التي بعثها الله إلينا عبر خاتم النبيين الذي أرسله رحمة للعالمين، والتي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور بدأت تُفهم على أنها المنبع والمصدر الذي يغذي الحركات الإرهابية نتيجة أفعال داعش ومثيلاته والأقوال التي تطلقها هذه الحركات. فمهد هذا الوضع الأرضية لتعزيز وتوطيد الأفكار والأفهام المناهضة للإسلام والمسماة "بالإسلاموفوبيا". هذا التنظيم الذي يملك بنية مغلقة يصعب تفسير نموه ضمن الشروط العادية جعلت جميع الأقليات المسلمة في العالم وعلى رأسها المسلمون القاطنون في الغرب هدفاً للحركات المناهضة للإسلام. فكاد هؤلاء المسلمون لا يخرجون من بيوتهم خوفاً ورعباً وفقدوا الشعور بالأمان حتى في بيوتهم. فتفاقم التمييز العنصري وعداوة الأجنبي. وعندما يقال الإسلام باتت مقاطع الفيديو التي تعرض داعش وهو يقطع الرؤوس تحضر في أذهان الناس وليس رسول الله وشخصيته القدوة ولا القرآن الكريم الذي هو شفاء ورحمة.

لو تناولنا هذه المسألة في إطار منطقة الشرق الأوسط لوجدنا أن تنظيم داعش بأفعاله وأعماله الإرهابية أجبر الكثير من الناس على ترك أموالهم وممتلكاتهم وبيوتهم وديارهم وأودى بحياتهم. فضلاً عن أنه شكل ذريعةً للقوى العالمية حتى يكون لها حضور أكبر وتدخل أكبر في المنطقة. وصارت شرعية كفاح شعوب هذه المنطقة ضد المحتلين ومساعيها لنيل الحرية تُثار حولها إشارات الاستفهام نتيجة ما يقوم به داعش وأمثاله. وعملت البنى الراديكالية التي لا تعرف التنوع والحساسيات التاريخية والثقافية في المنطقة وتعارضها؛ على تصفية ديناميكيات المقاومة المحلية أو أضعفت نضالهم المشروع[123]. إن احتمال ظهور ونمو بنى مشابهة لبنية داعش لن يزول ما دامت الشروط والظروف مهيئة لتكوين أرضية لاخضرارها حتى لو انهارت البنية المادية لتنظيم داعش الذي ألحق أضراراً كبيرة بالإسلام والدين الإسلامي.

123 انظر: محمد جهاد أبراري، متن إطار داعش/ İŞİD Çerçeve Metni، ص 40.

ب- أهل الكتاب

وضع داعش المسيحيين العرب أمام ثلاث خيارات إما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتل. في هذه الحال اضطر الكثير منهم إلى الفرار ومغادرة ديارهم ووطنهم. هذه المجموعات التي يتم الحديث عنها هي المجموعات التي تعيش في المجتمع الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً تقريباً في أمن وسلام، ولم تأخذ موقفاً يعادي المسلمين. فجاء داعش ودمر معابدها وسلب أموالها وممتلكاتها. نعم هذه المجموعات عاشت في تلك الأراضي منذ آلاف السنين بل وقفت جنباً إلى جنب مع المسلمين في نضالهم ضد المستعمرين الأجانب.

أما التنظيم الذي لا يفهم ماهية الوضع القائم فقد فرض على هذه المجموعات الجزية التي تؤخذ من غير المسلمين كما هو وارد في الكتب، وارتكب أخطاء في القواعد التي سيتم تطبيقها. فالضرائب التي ستؤخذ من غير المسلمين المنخرطين في المجتمع الإسلامي باتفاقية لا يمكن تحديدها إلا باتفاقية أخرى كما يُفهم من تطبيق سيدنا عمر رضي الله عنه[124]. هذا الضرب من المسائل أمورٌ تركها الإسلام للسلطات العامة وأمر بتنظيمها وفقاً للظروف والشروط والمصلحة. لكن ما يفعله داعش من القيام بهذا التطبيق بالشكل الذي كان عليه في الماضي دون الأخذ بعين الاعتبار الشروط المتغيرة وتقديمه على أنه إحياء لأوامر الإسلام يخالف مقاصد الإسلام.

ج- اليزيديون

واليزيديون من المجموعات التي ظلمها داعش، وارتكب في حقهم جرائم ضد الإنسانية. لم يترك أمام هذه المجموعة التي لم تتبن يوماً موقفاً معادياً لا من المسلمين ولا من داعش سوى أحد خيارين إما الدخول في الإسلام أو القتل. بيد أن علماء المسلمين أجازوا لهذه المجموعات أن تعيش في المجتمع الإسلامي تماماً مثل المجوس وأن تملك نفس الحقوق التي يملكها أهل الكتاب[125]. خلافاً لذلك قام داعش بقتل مئات اليزيديين، وأكره الباقي على ترك أوطانهم. واستعباد النساء اليزيديات الأسرى ومعاملتهن معاملة الجواري وبيعهن في سوق الأسرى أيضاً تصرفٌ ليس له مسند شرعي كما جئنا على ذكره سابقاً.

د- النساء

في المناطق التي يسيطر عليها قام داعش بحبس النساء في البيوت، ولم يسمح لهن بالخروج حتى من أجل التحصيل العلمي. فاضطرت النساء إلى الانسحاب التام من حياتها العملية. لم يجد التنظيم اللباس الذي يتوافق وضوابط الستر كافياً، ففرض على النساء ارتداء اللباس الذي صممه، ونشر بروشورات تبين شكل اللباس

124 الموصلي، الاختيار، بيروت 1975، ج 1، ص 115.

125 هاشمي، تحذير الطائش من ضلال داعش، ج 3، ص 367-368. رسالة مفتوحة، ص 17.

الواجب ارتداؤه، وقال بعدم جواز كشف وجه المرأة[126]. والتدخل الأفظع في حرية المرأة هو إكراهها على الزواج مع أتباعها[127]. بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبر نكاح الفتاة من شخص لا تريده باطلاً[128]. أما إكراهه على الزواج بشخص آخر يحدده التنظيم في حال وفاة زوجها في الصراع فهو ظلم آخر بحقها.

هـ- الأطفال

يخضع داعش الأطفال الذين يصفهم «بأسود الغد» لتعليم خاص لتربيتهم على روح الجهاد ظاهرياً. ويعمل أحياناً على جعل الأطفال ينفذون العقوبات وينشر صورهم وهم يفعلون ذلك في وسائل الإعلام الخاصة بها[129]. يرد داعش على الانتقادات الموجهة إليها بهذا الخصوص بأن استعمال العساكر الأطفال من السنة النبوية مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل معركة أحد رفض مشاركة بعض الصحابة في المعركة طواعيةً لصغر سنهم[130]. ولا يخفى عن العيان أن استعمال الأطفال في تنفيذ العقوبات يؤثر على سلامة أرواحهم ويخلق لديهم ميلاً إلى العنف.

هذا الوضع يستحضر في الأذهان التطبيقات غير الإسلامية وغير الإنسانية التي تقوم بها بعض المنظمات الإرهابية الظالمة في إفريقية باستعمال العساكر الأطفال. وهذا النموذج نموذجٌ مثيرٌ يظهر أن داعش في الواقع منظمة إرهابية حديثة. وهذه العبارات التي قيلت حول الميل إلى العنف لدى الشباب المنضمين إلى المنظمة من أصول غربية لافتة للانتباه: ''المشاركة في الجهاد والعصيان ليس إلا مغامرة أو مخيم صيفي عسكري بالنسبة لمعظم الشباب القادمين من الدول الغربية. وهم أخطر أتباع المنظمة لأنهم لا يرحمون الأهالي المحليين ولا يكترثون بمعاناتهم''[131]. إن ما يحاول داعش فعله من زج للأطفال في قلب الصراعات وتنفيذ العقوبات على أيديهم يشير إلى أنه يعمل من الآن على إنتاج ذاتي لكوادرٍ تميل إلى العنف.

126 عفائف في الحجاب وأدلة وجوب ستر المرأة.

127 هاشمي، تحذير الطائش من ضلال داعش، ج 3، ص 367. رسالة مفتوحة، ص 18-19.

128 أبو داود، النكاح، 23، 24. ابن ماجة، النكاح، 12. الموصلي، الاختيار، ج 3، ص 91، 24، 23.

129 دابق، 8/ 1436، ص 20-21.

130 عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت 2014، ص 128.

131 لوريتا نابلوني، الإسلام والجهاد الحديث، المترجم: ف. ججان-أ.ف. ججان، إسطنبول 2014، ص 96.

التقييمات والتوصيات

تنظيم داعش الراديكالي الذي يعمل على إضفاء الشرعية على نفسه بزعمه السير على النهج السلفي- اللفظي لا يشكل خطراً على الصعيد الإقليمي فحسب بل على الصعيد العالمي أيضاً. فانضمام الأتراك إلى هذه المنظمة ولو بأعداد قليلة يشكل خطراً آخر على بلدنا. لا يُعرف تحديداً عدد المواطنين الأتراك المنضمين ولكن هناك بعض الأرقام التقديرية. يُعتقد أن تنظيم المشاركين يتم عبر جماعات راديكالية موجودة في تركية. ومن المعلوم أن من يميل إلى داعش هم من فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و25 عاماً وأنهم يساقون إلى جبهات القتال بعد أن يخضعوا لتعليم أيديولوجي على شكل مجموعات[132].

من اللافت للانتباه أن عدد المنضمين إلى داعش من الأتراك قليل جداً مقارنة مع عدد المنضمين إليه من الجاليات المسلمة التي تعيش في دول أخرى من العالم. والوضع ذاته ينطبق على الأتراك في بلاد المهجر. والسبب في ذلك يعود إلى أن النسيج الديني والتاريخي والثقافي في هذه الأراضي لا تتيح المجال لظهور ونمو منظمات شبيهة بداعش. فالفهم الديني الذي توارثناه من العثمانيين ما يزال محافظاً على وجوده في العهد الجمهوري أيضاً بفضل وجود دروس الثقافة الدينية والعلوم الأخلاقية ووجود مؤسسات مثل رئاسة الشؤون الدينية وكليات الإلهيات والمدارس الثانوية للأئمة والخطباء. لكن رغم كل هذه العوامل يلاحَظ أن داعش والبنى الشبيهة يسعون جاهدين للقيام بنشاطاتهم وفعالياتهم في تركية. ويتبين في هذا الوضع وجود حاجة إلى أعمال دينية وثقافية إلى جانب التدابير السياسية للحيلولة دون تشكيل قاعدة لداعش وتحول دون انتشاره وامتداده في بلدنا.

عند الغوص في الجذور التاريخية للأوضاع التي نعيشها اليوم يمكننا الوصول إلى الاكتشافات التالية: إن الهزائم العسكرية والانهيار الاقتصادي وانتشار الفقر وغيرها من الأسباب التي ظهرت في القرن الثامن عشر وما بعده أدت إلى انتشار الإحساس بالظلم وانعدام العدل في المجتمعات المسلمة. ومواقف الإدارات القمعية وسياساتها التي تعير أهمية بمصالح فئة قليلة من المجتمع بدلاً من أن تعير أهمية بتعليم الشعوب ورفاهيتها وغيرها من الأسباب الأخرى أفضت بهذا الإحساس إلى نتائج مرضية. كان لا بد من الانتباه أولاً إلى أن التحول الراديكالي في العالم الإسلامي كان يتغذى وينمو من هذه الخلفية.

فكانت التغيرات التي شهدها العالم الإسلامي في مجال العلم والثقافة إحدى نتائج هذه التطورات. وقد شهد الفكر الإسلامي بعد القرن الثامن عشر دعوات للعودة إلى فهم الإسلام الطاهر وإعطاء مزيد من ردود الأفعال البيوريتانية (التطهيرية) حيال التطورات المجتمعية والسياسية. فالدعوات التي تنادي بالعودة إلى ألفاظ القرآن والسنة أخرجت الفكر الإسلامي من أعماقها الفكرية التقليدية وفرضت عليه ذهنيةً تلجأ إلى ظاهر

132 انظر: سليم وطن داش، داعش والجدل الدائر حولها في تركية/ Işid ve Türkiye'de Işid Tartışmaları، ص 13-14.

النصوص والمتون تحت دعوة ''العودة إلى الأصل''. والخطابات الدينية التي يطلقها تنظيم داعش الذي ولد في منطقة الشام والعراق بفعل الظروف السياسية الخاصة التي ظهرت منذ مطلع الألفينيات تتغذى من هذه المقاربات السلفية–اللفظية التي تتبنى العودة إلى الأصل.

وبالتالي فإن كل ما سيقال في خطابات داعش الدينية له علاقة بالعمل على مواجهة التحدي الذي أوجدته هذه المقاربة السلفية التي تنادي بالعودة إلى الأصل لأن هذه التفسيرات الإسلامية التي تدعو للعودة إلى الأصل والتي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر وتبلورت آثارها في القرن العشرين برزت بعد التخلي عن المقاربات الدينية التقليدية بفعل سلسلة من الإصلاحات التي تمت في تلك الحقبة. فاقترحت المقاربة الإسلامية التي تم إنتاجها مكان الفهم التقليدي العودة إلى القرآن والسنة ونهج السلف (أجيال الإسلام الأولى) باسم العودة إلى الإسلام الأصلي والطاهر. وعندما تم الاستغناء على النظام التقليدي تبعثر الفكر الإسلامي مثل كتابٍ انتُزع منه سلكه الذي ينظم صفحاته، وشرع المسلمون في اقتراح أساليب وطرق من أجل إعادة تنظيم هذا الكِتاب. فكانت الدعوة إلى الإسلام الطاهر من بين أكثر هذه الأساليب جاذبية.

حتى أن جميع التفسيرات الإسلامية على وجه التقريب في العصر الحديث تأثرت بهذه المقاربات الأصيلة التي تنادي بالعودة إلى القرآن والسنة بشكلٍ أو بآخر. لذلك يجب على علماء المسلمين أن يتناولوا هذه الدعوة إلى العودة إلى الأصل ويقوموا بتحليلها وتقييمها. وجليٌّ أن هذا الأمر يتطلب امتلاك علوم الكلام والفقه والتصوف الصحيحة لبناء التوازن الصحيح بين 'الإسلام والإيمان والإحسان'[133] الذي يشكل رسالة الإسلام الرئيسية كما كان عليه الحال في الماضي. وبذلك وحده فقط يمكننا الخروج من الحال التي أوصلتنا إليه المقاربات الأصيلة المذكورة من العجز في الفكر (الفكر العالمي) والعجز في المجالات القانونية والسياسية والأخلاقية.

بفضل تجربتها هذه في مجال الإلهيات والأئمة والخطباء كانت تركية إحدى أقل الدول المسلمة تأثراً بهذه المقاربة الإسلامية التي تدعو للعودة إلى الأصل، فقد أعادت بناء المدارس والكتاتيب بنظامٍ أسسته إلى جانب النظام التعليمي في المدارس التقليدية منذ فترة التنظيمات متطلعةً بذلك إلى تلبية توقعاتً العصر الحديث. لا ريب أنها عانت هبوطاً وصعوداً خلال هذه الفترة لكن هذه التجربة هي التي جعلت تركية في وضع مختلف رغم كل ذلك وجعلت المسلمين من أصول تركية سواء داخل القطر أو خارجه لا تنقاد كثيراً إلى جاذبية هذه المقاربة التي تدعو للعودة إلى الأصل.

ينبغي أن تُبذل الجهود من أجل مواصلة الطريق في الحفاظ على هذه التجربة وإيجاد تراكيب إبداعية ومتميزة في مجال الكلام والفقه والتصوف. فكل عصر مكلف بإنتاج المقاربات والممارسات الخاصة به. لكن الانكباب على ظاهر ألفاظ القرآن والسنة دون استيعاب المكتسبات والنواحي الإيجابية في التراكم الموروث في الكلام والفقه والتصوف وتحويلها إلى رأسمال فكري سوف يجعلنا سطحيين وقساة. إن تراكمنا الإسلامي قائم

133 مسلم، الإيمان، 1.

على الفهم الذي يمتثل امتثالاً كاملاً العلة والحكمة والمقصد من القرآن والسنة إلى جانب ما فيهما من معانٍ ظاهرية.

كل هذه المواضيع والمسائل التي تطرقنا إليها تبين بوضوح أنه من غير الممكن تسيير مكافحة جذرية ضد داعش والبنى المشابهة عبر اتخاذ التدابير الأمنية. والجميع بالتالي، وفي مقدمتهم العلماء الذين يرشدون الأمة الإسلامية مكلف بتطوير أسلوب شامل واستيعابي للتعبير ضد الخطابات الدينية الإقصائية والتهميشية التي تطلقها داعش.

قبل كل شيء ينبغي علينا أن نعيد النظر في النظام الذي نتبعه في تنشئة الإنسان لا سيما أساليب التربية والتعليم الديني. فإعطاء الأولوية لتبيان أسباب نزول النصوص وحكمتها وأهدافها عند تدريس الدين للأجيال القادمة يحمل أهمية حيوية. من هنا سيتتضح للأجيال القادمة كيف يجب أن يكون المسلم وما هي الواجبات الدنيوية والأهداف النهائية. ينبغي أن لا تكون الحياة الدينية التي تقتصر على المكتسبات/ السلطات الدنيوية الحياة التي يعيشها المسلم وينبغي أن يترسخ في الأذهان الوعي بأن الإسلام هو دين المكتسبات الدنيوية والآخروية في آن واحد. وبعد أن يتم تكوين هذا الوعي لا بد من إعادة استعمال تقنيات وأساليب قراءة النصوص التي تشكلت عبر تراث يمتد ل1400 عام وفهمها وتفسيرها. ينبغي العمل انطلاقاً من الفهم الذي يضع أهداف الدين الأساسية في المركز والاهتمام بتقييم النصوص الجزئية مع المبادئ الكلية.

يجب تسليط الضوء على تعاليم الدين الإسلامي التي تشكل رحمةً لكل الناس والكائنات وليس للمسلمين فقط. كما يجب التأكيد على أن التفسيرات والأفهام التي يتم تطويرها في الفكر الإسلامي لا تحمل صفة الحقيقة المطلقة ولكنها جهود تُبذل في سبيل الوصول إلى الحقيقة. لا يمكن اعتبار اجتهادات وتفسيرات المسلم أياً كانت صفته ومهنته ومنصبه الحقيقة المطلقة لأنه لا حصانة (عصمة) لأحد على وجه الأرض غير رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما أنه من غير المناسب تبني الاجتهادات التي تكونت في الماضي ونقلها إلى يومنا كما هي وهذا أمر مهم يجب التشديد عليه لأن هذه الاجتهادات تشكلت حسب ظروف ذلك العصر وشروطه وأسسه.

كما أن تطبيق الاجتهادات التي حصلت في الماضي كما هي دون الأخذ بالحسبان شروط يومنا الحالي يضر ولا ينفع. إن كان الأمر كذلك فمن الضروري إعادة دراسة التفسيرات والأفهام التي تشكلت في فترة معينة من التاريخ والواردة في أدبيات العلوم الإسلامية وعلى رأسها الفقه وتقييمها وفقاً لشروط هذا العصر. وإن تطلب الأمر أن نعطي مثالاً لأمكننا القول إنه لا ينبغي النسيان أن مفاهيم دار الحرب والذمي والمرتد وأمثالها فيها مضامين تعكس شروط عصرها. في تلك الحال ينبغي مراجعة تراكماتنا الفقهية بأكملها بنفس الفهم، وإلا لن يجد داعش ومثيلاته صعوبة كبيرة في العثور على مواد تتخذها مستنداً من الأدبيات المعنية.

والأمر الآخر الذي يجب الانتباه إليه هو توعية الآباء والأمهات حتى لا يهملوا أولادهم وهم منهمكون في مشاغل الحياة اليومية. فالأولاد الذين يتم إهمالهم يتعرضون لتلقي معلومات دينية محرفة ويزداد احتمال انجذابهم نحو المنظمات الراديكالية. ينبغي على الأسر التي ترى هذه العلامات في أولادها أن تأخذ الوضع محمل الجد وتأخذ

الدعم والمساعدة من الأشخاص والمؤسسات المخولة في المجال الديني إن كان ما لديها من المعلومات غير كافية. في هذه النقطة التي نؤكد عليها ينبغي العمل لترسيخ الحساسية في المجتمع كله. من جهة أخرى يشكل موضوع سقوط الشباب الذين هداهم الله إلى الإسلام في الغرب في أيدي الجماعات السلفية بدافع الحماس وخداعهم بسهولة من قبل منظمات مثل داعش؛ مشكلة هامة لأنهم يضيعون في الطريق الخاطئ ويذهب اهتداؤهم عبثاً. لتداركٍ هذه المشكلة لا بد من إيجاد خطاب ديني يحتضن الشباب وتقديمه إليهم بشكل مناسب.

نقص المعلومات الدينية ليست الواقعة التي يتم مواجهتها أثناء مكافحة داعش والبنى المشابهة، بل هي المعلومات الدينية التي تستند على مصادر موثوقة، ولكن تم تحريفها من الناحية الأيديولوجية وتحويلها إلى عقيدة من أجل أتباعها. فالمصدر الذي يلجأ إليه هذا التنظيم ومثيلاته كإطار مرجعي لتشريع نفسها هو الاعتقاد السلفي والدعوة السلفية التي لها تأثيرها على الصعيد العالمي. تمتاز هذه البنى بخاصية مشتركة ألا وهي أنها تعارض الميول الصوفية التي تتماشى مع أهل السنة والماتريدية والأشعرية التي تعد من المذاهب الإسلامية التقليدية السليمة منذ 14 عصراً. مع أن هذه البنى تقول إنها من أهل السنة لكنها تتجاهل وتنكر مبدأ ''لا نكفر أحداً من أهل القبلة'' الذي هو مبدأ أساسي لدى أهل السنة وتعتبر أتباع المذاهب الأخرى من أمثال الشيعة كفاراً. في إطار هذا الفهم يقيّم أتباع هذه البنى التصوف بأنه انحراف في سياق الفقه والفكر الميتافيزيقي وإن كانوا لا يعارضون حياة الزهد. في هذا الصدد يجب أن لا يغيب عن الأنظار أن الخرافات والبدع التي تسربت إلى التصوف تشكل مادةً يدافعون بها عن رأيهم الذي هو موضوع الحديث.

أمامنا بنى لا تتورع عن استعمال التكفير أداةً للإقصاء على اعتبار أنها تملك فهم الحقيقة المطلقة. فتعير أهمية بشكل العبادات وتعرض في الفقه مقاربة لفظية مجزأة يكون فيها الفهم البراغماتي العامل المحدِّد. مقابل هذا الخطاب الإقصائي لا بد من تطوير خطاب ديني شامل يستوعب الجميع. لهذا السبب يجب تكوين فهم يستوعب موروث الأمة برمتها عبر فهم الكلام والفقه التقليدي وتطويره. يجب أن يكون الدستور ''المجتهدً قد يصيب حتى لو كان الحق واحداً عند الله تعالى'' نقطة التحرك الأساسية. أمام الفهم السلفي الذي صار أيديولوجية تغذي هذه الحركات لا بد من دعم العقيدة الإسلامية الصحيحة والعمل على تكوين وعي في هذا الخصوص في كليات الإلهيات والمدارس الثانوية للأئمة والخطباء ورئاسة الشؤون الدينية. علاوة على ذلك ينبغي الأخذ بالحسبان دور ثقافة التصوف في تمثيل البعد المعنوي للإسلام وتعريفه للناس والعمل على الحفاظ على هذه العروق حيةً بتطهيرها من البدع والخرافات.

يمكن القول بإيجاز إن أكبر أضرار داعش ومثيلاته من التنظيمات الإرهابية ذات المظهر الإسلامي أنها كونت صورة سلبية عن الإسلام في العالم كله. فمقاطع الفيديو الشنيعة ومشاهد العنف التي يتم نشرها يومياً في وسائل الإعلام تؤدي إلى تفاقم الإسلاموفوبيا في العالم كله وتوظيف الإعلام لتكوين تصور بأن ''الإسلام دين العنف والإرهاب''. لذا ينبغي على الإدارات الدينية للبلدان الإسلامية أن تعلن للعالم كله عبر المحافل الدولية بأن هذه التنظيمات لا تتماهى مع الإسلام، بل الإسلام كما يتضح من اسمه هو دين الرحمة والسلام الحقيقي. ينبغي عليها أن تشرح للناس نظرة الإسلام إلى الإنسان أياً كان دينه ولغته وأصوله الإثنية عبر وسائل عصرية

مثل الأفلام والمسلسلات والسينما. في هذا الصدد ينبغي على الإدارات السياسية في البلدان الإسلامية أن تعير انتباهاً إلى احتياجات ومطالب المجتمع في المواضيع الدينية حتى لا يتم استغلالها من قبل هذه المنظمات التي ظهرت لتطبيق الإسلام.

بنفس الشكل ينبغي القيام بخطط مشاريع مستعجلة مثل إقامة برامج مشتركة بين البلاد الإسلامية لتنشئة الجيل مثالي والعمل على التعاون والتضامن المتبادل لتحقيق هذا الهدف ونشر البرامج التعليمية–التربوية النموذجية في جميع البلاد الإسلامية وإقامة مزيد من ملتقيات الشباب الدولية، وإعداد وثائقيات مطبوعة ومرئية من شأنها أن تنشر الوعي عند الشباب وتزودهم بمعلومات صحيحة حول التنظيمات الإرهابية وتوزيعها على جميع الدول في لغات عدة.

عند النظر إلى المسألة من وجهة بلدنا يمكن القول إنه ينبغي على وزارة التربية الوطنية ورئاسة الشؤون الدينية والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية وغيرها من المؤسسات والهيئات أن تقوم بتطوير خطط مشاريع مستعجلة حتى لا يلتفت الشباب إلى هذه المنظمات الإرهابية. لا بد من إقامة ندوات ومؤتمرات ومنشورات مطبوعة ومرئية لتكوين وعي كاف في هذا الموضوع. من المهم أن تعمل رئاسة الشؤون الدينية على تأسيس «جناح الشباب» في كل جامع ومعهد لتعليم القرآن الكريم كما في التطبيقات الحاصلة في الدول الأروبية وتفعيل البرامج الدراسية التي تخاطب الشباب.

تقوم رئاسة الشؤون الدينية بخدمات موجهة بأكملها لمواطنينا المسلمين في خارج القطر. ينبغي عليها من الآن فصاعداً أن تكون كوادر جديدة تعرف الناس المقيمين في هذه المناطق من أديان ولغات وثقافات مختلفة على وجه الإسلام البشوش لصد الإسلاموفوبيا وتبحث في وسائل جديدة للأنشطة المتنوعة. والهدف من ذلك إزالة ما تنشره وسائل الإعلام من تصورات خاطئة عن الإسلام ولو نبذة أكثر من أن يكون الهدف دعوة الشرائح المختلفة إلى الإسلام. لتحقيق هذا الهدف لا بد من جعل مبادرة علماء المسلمين العالمية للسلام والحس السليم أكثر فاعلية وعقد مؤتمرات كثيرة يتم فيها التعريف على ما لدى تركية من تجارب في هذا الموضوع سواء على صعيد كليات الإلهيات أو رئاسة الشؤون الدينية.

المراجع

- القرآن الكريم
- الكتب الستة (الأرقام المذكورة في الهوامش وفق ترتيب كتاب المجموع المفهرس لألفاظ للحديث النبوي).
- الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي.
- عفائف في حجاب وأدلة وجوب ستر المرأة.
- علي القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي، مرقاة المفاتيح، بيروت 2001.
- الألوسي، أبو السنا شهاب الدين محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت 2009.
- عارف، محمد، ألف حديث وحديث، القاهرة 1325.
- العيني، بدر الدين محمد بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، بدون تاريخ.
- عظيم أبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق بن أمير علي الديانوي، عون المعبود، بيت الأفكار الدولية، عمان، بدون تاريخ.
- البابرتي، أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الرومي المصري، شرح العقيدة التهانوية، بيروت 2009.
- البنا، عبد الرحمن، بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، عمان بدون تاريخ.
- البزازي، محمد بن شهاب، الفتاوى البزازية، بيروت 1986.
- بيِق، مصطفى، أرمجدون وملَكيَّة الإله / Armegedon ve Tanrı Krallığı، أنقرة 2008.
- بيلمان، عمر نصوحي، قاموس الحقوق الإسلامية والاصطلاحات الفقهية، إسطنبول 1950.
- البخاري، أبو محمد إسماعيل، التاريخ الكبير، حيدر آباد، 1360 – 1363.
- ـــــ التاريخ الصغير، القاهرة 1977.
- محمد علي بويوك قره، السلفية في حاضرنا وتأثيرها على الحركات الإسلامية/ Günümüzde Selefilik ve İslâmî Hareketlere Olan Etkisi، السلفيون في التاريخ والحاضر/ Tarihte ve Günümüzde Selefiler، إسطنبول2014.

- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، بيروت 1922.
- جاقان، إسماعيل لطفي، الأحاديث والحقائق / Hadislerle Gerçekler، إسطنبول 2003.
- دابغ، 1436 / 8 – 9.
- دحلان، أحمد بن زيني، الدرر السنية في الرد على الوهابية، مصر 1319.
- أحمد داود أوغلو، ترجمة صحيح مسلم، وشرحه، إسطنبول 2013.
- حلمي دمير، السلفيون والحركة السلفية داعش؛ وسنيتهم إلى أي حدٍ؟ / Selefiler ve Selefî Hareket Işid Ne Kadar Sünnidir?، معهد تركية القرن الواحد والعشرون (تقرير خاص)، آب 2014، ص 14.
- محمد جهاد أبراري، متن إطار داعش/ (IŞİD Çerçeve Metni)، تقرير SAMER.
- الدولة الإس لامية تتخذ من التكفير عقيدة والإرهاب منهجاً
- (http://www.alarab.co.uk/m/?id=30354)
- القول الفصل في مشروعية هدم القبور المزعومة لأنبياء الله (عليهم السلام)، 1435
- https://alhimma.wordpress.com/2016/01/18
- أبو الزهراء الأثري، القول الصافي في صحة بيعة الشيخ سليل آل بيت النبوة أبي بكر القرشي الحسيني البغدادي ثم السامرّائي.
- أبو الحسن الفلسطيني، ردود وتلمحيات على منكري العمليات.
- (https://ia601007.us.archive.org/2/items/hmm-rdd/rdd.pdf)
- أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، إسطنبول 1985.
- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، بيروت، بدون تاريخ.
- محمد حامد الله، إدارة الدولة في الإسلام، المترجم: كمال كوشجو، أنقرة، بدون تاريخ.
- عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت 2014.
- عبد الله بن عبد الله الهاشمي، تحذير الطائش من ضلال داعش، دار ماجد العسيري 2015.
- هشام الهاشمي، عالم داعش، لندن 2015.

- محمد سعيد خطيب أوغلو، سيدنا النبي والوحي من غير القرآن / Hz. Peygamber ve Kur'ân Dışı Vahiy، أنقرة، 2009..

- لجنة علماء، الدرر السنية في أجوبة النجدية، 1996.

- لجنة علماء، الفتاوى الهندية، بيروت 1986.

- لجنة علماء، الإسلام بالأسئلة، منشورات رئاسة الشؤون الدينية، أنقرة 2015.

- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت 1987.

- حسين بن محمود، مسألة قطع الرؤوس (جائزة بنص القرآن والسنة وفعل الصحابة)، 1436/2014.

- محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، رد المحتار، رياض 2003.

- أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، بيروت، بدون تاريخ.

- صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز، شرح العقيد الطحاوية، القاهرة، بدون تاريخ.

- أبو عباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج، مصر 1938.

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، بيروت، بدون تاريخ.

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، بيروت 2004.

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الاختلاف في اللفظ ورد على الجهمية والمشبهة، بيروت 1985.

- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الفتاوى الكبرى، بيروت 1987.

- محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي كمال الدين بن الهمام، فتح القدير، بولاك 1316.

- راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكة، بدون تاريخ.

- إسماعيل حقي الإزميرلي، علم الكلام الجديد/ Yeni İlm-i Kelâm، إسطنبول1339—1341.

- علي عزت بيغوفيتش، أقوال، المترجم: فاطمة نور ألتون-رفعت أحمد أوغلو، إسطنبول 2007.

- جعفر قرة داش، أبو منصور الماتريدي ومشكلة مذهب المرجئة، مجلة المِلل والنِّحَل/ 2010 Milel ve Nihal، مجلد 7، عدد 2، ص 191-221 (http://ktp.isam.org.tr/?url=makaleilh/findrecords.php).

- كمال بن أبي شريف، كتاب المسامرة، إسطنبول 1979.

- مختار خان خوجامير، تحويل فقه الجزاء الإسلامي إلى قوانين في أفغانستان، جامعة نجم الدين أربكان، معهد العلوم الاجتماعية، قونية 2015.
- القسطنطينية، 1-4/ 1436.
- سعد بن عبد الله القمي، كتاب المقالات، طهران 1963.
- سونمز قوطلو، التقليديون الأوائل في الفكر الإسلامي، أنقرة، 2000.
- كرلاني، الكفاية، بيروت 1986.
- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا المقدسي، أحسن التقاسيم (نشر M.J. De Goeje)، E.J. Brill 1906.
- أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، بدون تاريخ.
- أبو الحسن برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني الميرغيناني، الهداية، دار الفرور، دمشق 2006.
- أبو الفضل مجد الدين عبد الله بن محمد بن مودود الموصلي، الاختيار، بيروت 1975.
- شمس الدين أحمد مولا خيالي، حاشية على شرح العقائد، إسطنبول 1308.
- مصلح الدين مصطفى بن محمد كستلي، حاشية على شرح العقائد، إسطنبول 1308.
- عبد الله محمد المحيسني، تطبيق الحدود في ميزان الشريعة الإسلامية، مجلة الإيحاءات الجهادية، 2/ 1437.
- علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضي خان المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت 1985.
- أبو العباس محمد بن يزيد يم عبد الأكبر بن عمير المعروف بالمبرد، الكامل في اللغة والأدب، الناشر/ عبد الحميد الهنداوية، بدون تاريخ.
- لوريتا نابليوني، الإسلام والجهاد الحديث، المترجم: ف. جحان-أ.ف. جحان، إسطنبول 2014.
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، بيروت 2001.
- أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، القاهرة 1986.
- كاشف حمدي أوكور، بعض الأفكار بخصوص العقوبات الأصلية المقترحة في فعل الارتداد في الفقه الإسلامي، مجلة كلية الإلهيات بجامعة جروم، 1/ 2002 (http://ktp.isam.org.tr/?url=makaleilh/findrecords.php).
- أحمد أوزل، الإسلام والإرهاب، إسطنبول 2007.

- محمد بجاجي، Apokaliptisizm وأدبيات الفتنة في الحديث، إسلاميات، 1998/1.
- صالح حسين الركب، الدولة الإسلامية (داعش)، غزة 2015.
- أبو عبد الله (أبو الفضل) فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، معالم أصول الدين، القاهرة، بدون تاريخ.
- أبو عبد الله شمي الدين محمد بن أحمد ين أحمد بن حمزة الرملي، نهاية المحتاج، بيروت 2003.
- إبراهيم الراوي الرفاعي، رسالة الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، إسطنبول 2002. رسالة مفتوحة إلى الدكتور إبراهيم عواد البدري الملقب ''بأبي بكر البغدادي'' (http://www.lettertobaghdadi.com/14/arabic-v14.pdf).
- نور الدين صابوني، الكفاية في الهداية، بيروت 2014.
- أبو القاسم اسحاق بن محمد بن إسماعيل القاضي الحكيم السمرقندي، السواد الأعظم، إسطنبول 2013.
- أبو بكر شمس الأئمة محمد بن أبي سهل أحمد السراخسي، المبسوط، إسطنبول 1983.
- أبو بكر شمس الأئمة محمد بن أبي سهل أحمد السراخسي، شرح السير الكبير، بيروت 1997.
- محمد أسعد بن أمين سيدي شهري، Târih-i İlm-i Hukuk، إسطنبول 1331.
- محمد سيد، الخلافة والحاكمية المليّة، أنقرة 1339.
- ------------------، مدخل، إسطنبول 1333.
- سؤال وجواب في السبي والرقاب، دار البحوث والإفتاء، 1436.
- https://ia902703.us.archive.org/4/items/Reqap03/Reqap_03.pdf
- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، بغداد 1978.
- بولنت طاهر أوغلو، الاسترقاق في الإمبراطورية العثمانية/ Osmanlı İmparatorluğunda Kölelik، İÜHFM، 1979-1981/ 1-4.
- أبو إسحاق نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يُعمل في الملك، بيروت 1992.
- سعد الدين مسعود بن فخر الدين عمر بن برهان الدين عبد الله الخراساني التفتازاني، شرح العقائد، إسطنبول 1308.
- عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام.
- بكير طوبال أوغلو-إلياس جلبي، قاموس مصطلحات الكلام/ Kelam Terimleri Sözlüğü ، إسطنبول 2010.

- البن علي تركي، مدوا أيديكم لبيعة البغدادي.
- سليم وطن داش، داعش والجدل الدائر حولها في تركية/ Işid ve Türkiye’de Işid Tartışmaları، Bilgi Analiz، 2014 /1.
- وان فلوتن، دراسات حول حاكمية العرب وعقيدة الشيعة والمسيح في الدولة الأموية/ Emevi Devrinde Arap Hâkimiyeti Şia ve Mesih Akideleri Üzerine Araştırmalar ، المترجم: محمد سعيد خطيب أوغلو، أنقرة 1986.
- علي يردم، دراسة حول الفتح الحديث/ Fetih Hadisi Üzerine Bir Araştırma ، مجلة رئاسة الشؤون الدينية، 2/ XIII.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت 1983.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، شرح الموطأ، مصر 1310.